هنادي

رواية

محمد فتحي أبونوير

«ما بين الحُب والحَرب . . . . حرف واحد فقط

حرف واحد ، استطاع أن يغير معنى وشكل الكلمات،

فلا تستهن به» .

بسم الله الرحمن الرحيم

«الم . . غُلبت الروم . . في أدنى الأرض

وهم من بعد غلبهم سيغلبون . . في بضع سنين

لله الأمر من قبل ومن بعد . . ويومئذ يفرح المؤمنون»

صدق الله العظيم

سورة الروم الآيات من (١-٤)

إهداء

«إلى الأب والصديـــق، ورفيق الدرب الـــذي لا يكل ولا يمل من دعمي حتى أصل إلى ما أريد.

إلى أمي التي بفضل دعواتها كان الحظ حليفي.

إلى أخواتي البنات كلٌ منهن على حدة».

«إلى حب مازال معانقاً أنفاسي، ولم يمحه العمر من ذاكرتي كأنه كان أمس».

إهداء

إلى بيوت دُمرت

ورجال قُتلوا ... وشباب ذُبحوا

ونساء وأطفال قد تم بيعهم في سوق الرق والعبيد.

إهداء إلى .. شهداء أُعدموا بأبشع الطرق والأساليب

تحت أعين العالم بأكمله.

إهداء إلى وطن كبير جدًّا من حيث مساحته،

صغير جدًّا من حيث أحلامنا.

إهـــداء إلى اللاجئين على حدود الـــدول، والمهاجرين منهم والأنصار الهاربين مـــن ويلات الحروب.

إهداء إلى نساء العالم عامَّة... ونساء الوطن العربي خاصة،

إلى كل الأمهات والزوجات، اللاتي فقدنَ رجالهن

وضللن طريقهن... ولم ينسيْن أوطانهن.

إهداء إلى «هنادي» وحي هذا الكتاب،

عاهدت اللهَ ... على أن أكون على الحياد

ولا أميل عنه... حتى ولو بمقدار قليل.

عاهدت اللهَ ... على أن أنقل الصورة كما هي

دون مزايدة أو تدليـــس؛ حتى أعطي لك الحق يا صديقي في الحكم على القضيـــة بمحض إرادتـــك، كان عليَّ أن أنتظـــر... وأدرس...، فالقضية مهمة جدًّا

رُبما يكتب التاريخ عنَّا يوماً ما، ربما يأتي أطفالنا...لكي يقصواعلى بعضهم بعضًا، كل الأعمال التي حدثت في حق عروبتنا.

ربما نترك فيهم شـــيئاً... شـــيئاً واحداً فقط، يعودون إليه إذا ضلوا طريقهم، شـــيئاً بمثابة إرث لهم إرث يتباهون به، إرث أسميته « هنادي».

هـــذا أنا.....أحييكم ... فلتكن وصيتي لكم، لا تيأســـوا.... فهناك وطن بأكمله لم ييأس بعد.

تحياتي

محمد فتحي أبونوير

سوريا

الساعة السابعة مساءً

الشـــتاء ياله من فصل جميل، يأتي لنا بالهـــواء النقي، الذي يحمل بداخله أركان الرومانســـية، لكنه لطالما يأتي قارصًا وشديداً، خصوصاً في ذلك اليوم خدودها زادت من احمرارها وشـــفتيها أصبحت مشـــققه كقطعتين تفاح تركت في الهواء الطلق جلســـت في فراشـــها .. تغطي نفسها بقدر الإمكان العالم في الخارج آمناً كثيراً.... وأنين صوت فيروز يزيد من أمنه أضعافاً مضاعفةً.

ظلت جالسة تتصفح أحد مواقع التواصل الاجتماعي؛ حتي تهرب من الوقت البائس الذي لا يريد أن يمر، حتى سمعت صوت أمها...

هنادي ... يا هنادي.

كان ذلك اسمها .. اسم مميز يحمل في طياته الكثير من المعاني

أجابت في حنان ... نعم يا أمي جاء صوت أمها مرة أخرى العشاء جاهز

أجابت بكلمة واحدة... حاضر

وضعت جهاز الحاســـوب الخاص بها في مكانـــه وذهبت، حيث طاولة العشاء

«هنادي» فتاة في الحادية والعشرين من عمرها ... جميلة مثل حواء على الأرض، شقراء اللون وعيون زرقاء مثل البحر، وحسنتان فوق شفتيها، تجعلها جميلة أكثر وأكثر من أي بنت في عمرها.

الحديث على طاولة الطعام كان مملاً تقريباً، جلست أمام والدتها، وأبيها يتوسط الطاولة؛ رجل في العقد الخامس من عمره، يعمل مهندساً للبترول، وأمها امرأة في العقد الرابع من عمرها تقريباً.

ورغم فرق السن بينهما فإنهما متقاربان جدًّا في تفكيرهما ومعتقداتهما، وحتى في تربيتهما لهنادي .... أحبوا بعضاً كثيراً.

فالحب يا صديقي لا يعرف عمْرًا ولا أجيالاً .

أراد أبوها أن يكسر حاجز الملل، فبدأ هو بالحديث:

كيف كان حالك اليوم يا هنادي ... قالها وهو ينظر في الصحن الذي أمامه هنادي مبتسمة: كان مملاً كالعادة، كان من المفترض يا أبي أن يكون لي أخت ألعب معها، ونتسلى معاً، ونخرج معاً هكذا مثل العالم!

ضحكت أمها وقالت مداعبة: هنادي حبيبتي هذا هو قدرنا، أن لا يكون لدينا سوى ابنة شقية واحدة...

انتهى الطعام والحديث في آن واحدٍ

قبَّلت جبين أبويْها، وذهبت إلى الفراش، حيث الوحدة مرة أخرى، تلك الوحدة التي تصنع من الكتب أوطاناً، وتصنع من الكتاب أصدقاءً وأخوة، وتكتب ما تشاء كأنها تخلق حديثاً مع الورق، ويظل القلم الوحيد هو رفيقها الأبدي!

***

مصر

الساعة التاسعة مساءً.

أم كلثـــوم يالها من صوت رائع ... يدخل القلب دون أي إشـــعارات؛ يؤنـــس المحبوب ويصبر العاشـــق، ويجعلك تعيـــش أجمل قصة حب في حياتك دون أن تعلـــم .... من الذي تحبه!

دخان الشيشا وصوت أم كلثوم، وألعاب الجالسين، وأصوات ضحكاتهم يجعل الوقت يمر سريعاً.

جلس مع أصدقائه ممسكاً بكوب من الشاي أملاً أن يدفئ ثغرات قلبه.

شاب في الخامســـة والعشرين من عمره، عيناه ســـوداوان مثل الليل، وبشـــرة بيضاء مثل فلق الصبح، طويل القامة، وذو لحية خفيفة، تضيف إليه بعض الوقار.

تخرَّج في كليه التجار منذ ثلاث ســـنوات، يعيش مع أهله، هو الولد الوحيد...وهو الســـند الوحيد، وهو عماد البيت وظهر أبيه .....

ظل يبحث عن لقمة عيش مناســـبة حتى طفح الكيل، فعمل مع زوج أخته الذي يملك قهوه ذات مســـتوى عالٍ في أحد شوارع المحروسة.

اسمه أحمد .. ولأن لكل إنسانٍ نصيبًا من اسمه فهو حامد كثيراً .. وعابد قليلاً، لكنه لطالما كان قريباً من الله، طموح إلى أبعد حد...

انتظر ردها لكنها لم تستجب ...يئس وملَّ ... وذهب إلى منزله.

***

دخل منزله الساعة الحادية عشرة .

أبوه كعادته .. يجلس ممسكاً بسيجارته وفنجان قهوته، ويشاهد الأخبار كان العالم ملتهباً من حول أحمد ... لكنه لم يبال.

الأستاذ سليم مختار ... والد أحمد يعمل محاسباً، مهتم جدًّا بالسياسة نظر إلى أحمد ... من أعلى نظارته وقال في حده ... أين كنت؟

نظر أحمد إليه ... وابتسم قليلاً .. قبَّل جبينه في محاولة منه للهرب قائلاً :

كنت أجلس مع أصدقائي يا أبي

ابتسم أبيه .. وقال والدتك ظلت تسأل عليك

أحمد: أين هي؟

والده في الداخل تحضر لنا العشاء، من المفترض أن تذهب وتقوم بمساعدتها ابتسم أحمد ابتسامة النصر، حيث فرَّ من كل أسئلة أبيه، ورد بكلمة واحدة : حسناً.

ذهب أحمد إلى والدته ... مساء الخير يا أمي

أمه مبتسمة .. مساء النور يا أحمد... اخلع ملابسك وهيا لكي نأكل معًا .

أحمد : لا يا أمي ... أريد أن أنام فقط.

كان يكذب، أراد أن يدخل إلى غرفته لكي يرى إذا كانت قد ردت على رسالته أم لا.

خلع ملابسه و فتح هاتفه ... القمر لم يأت بجواب أيضًا.

غلبه اليأس هذه المرة أكثر من المرة التي قبلها فنام

***

في الصباح الباكر ... استيقظت من نومها ... نشيطة وفرحة لا تعلم لماذا، لكنها متفائلة اليوم كثيراً.. ارتدت ملابسها .. كانت أمها تحضر الإفطار

صباح الخير يا ماما

أمها : صباح النور يا هنادي

هنادي: أنا ذاهبة إلى الجامعه أتريدين شيئًا مني

أمها مبتسمة: لا يا ماما لكن لا تتأخري كثيرًا

هنادي مبتسمة: حسناً يا أجمل أم في العالم

جامعة البعث .. إحدى جامعات سورية .. هنادي تدرس التاريخ فيها

فهي تؤمن بأن الوطن العربي واحد، وأن القضية العربية واحدة، وأن بلاد العرب جميعها مثل سوريا.

دخل دكتور المادة في بدلة أنيقة يعود تفصيلها إلى أحد عصور الفخامة والجمال ... تم وضع فنجال من القهوة أمامه، وبدأ يحكي عن تاريخ فلسطين، وماذا فعل نبوخذ نصر الثاني في اليهود، ولو أنه قد أكمل

حربه ضدهم ... لما كانت قد ظهر ما يسمى بدولة إسرائيل، ذلك الكيان الصهيوني المحتل الطائفي، الذي يعيش كل يوم على امتصاص دماء العرب في جنوب لبنان، وفي هضبة الجولان، وفي فلسطين المحتلة.

***

خرجت من المحاضرة أمسكت بالهاتف فوجدت رسالة منه

قالت في نفسها «يالله» لم أر تلك الرسالة أمس .. كيف لي أن أنسى ذلك المجنون... أرسلت له رسالة صغيرة فيها كم من الاشتياق والحب والأمل في سطر واحد فقط !!

«إني أحبك أكثر مما تحبني»

يالك من مجنون أيها الحب، لا تعرف مكان ولا زمان ولا جنس ولا لون و لا وطن ولا دين.

من أنت ؟

لماذا خلقك الله ؟ ووضعك في قلوبنا هل أتيت لكي يعم علينا السلام والطمأنينة والفرح والخير ؟ أم جئت لكي تدمر قلوب كانت يوماً تؤمن بك.

قالت هذه الكلمات ولم تبال بالوقت الذي يمر، وفاتتها المحاضرة

جلست في المطعم تأكل وتستريح، وتسرح في صوره هذا الذي أحبته من كل قلبها حتى خرجت من غفلتها على صوت «لونا»

لونا: ابنة عمها .. وصديقتها الوحيدة تكبرها بعام واحد فقط

شابة مرحة وعيون واسعة وتعشق الحديث والطعام مع بعضهم بعضًا

لونا ضاحكة : ها انت هنا.

هنادي بعدما فوجئت بها : نعم متى جئتي .

لونا تهرب بالحديث بالنظر إلى العالم باحثة عن الجارسون .

هنادي : لا تهربي من ســـؤالي! خالتي ياسمينا قالت إنك مستيقظة منذ الصباح وخرجتي من المنزل مبكرًا

لونا متنهدة : كنت مع أسامة... خلاص .

عيد ميلاده اليوم .. كان يجب أن أكون أول شـــخص أقول له : كل عام وأنت بخير حبيبي .

قالتها وهي تتراقص ومتقمصة الدور

هنادي غاضبة : انت ها العالم

لونا مبتسمة : آسفة

قامت هنادي من مقعدها؛ لكـــي تذهب إلى المحاضرة التالية أملاً ألا تفوتها هي الأخرى

لونا : إلى أين ؟

هنادي مندهشة : إلى آخر محاضرة .

لونـــا مترجية وتمســـك في يد هنادي : ليس لـــدي محاضرات اليوم انتظري معي.

هنادي في غضب : لا محاضرة مهمة

حملـــت أغراضها ونظـــرت إليها لونا في ضيق شـــديد تقدمت بعض خطوات حتى سمعت صوت رســـالة نغمـــة مخصصة له .

عادت هنادي مرة ثانية ... لا تغضبي ... سوف أجلس معك

فرحت لونا كثـــيراً وقامت من مقعدها واحتضنـــت هنادي، وقالت مبتسمة :

أنت أحلى ابنة عم في العالم

هنادي مبتسمه : أنت أيضاً

كانت رسالته تكفي لتستعيد طاقتها مرة أخرى

«صباح الخير يا حبيبتي ... لكني أعلم أنك تحبين فيروز أكثر مني »

ردت هي في رومانسية

«إني أحبكم بنفـــس القدر، فالأمان يأتي من صوتها، والحب يأتي من قلبك»

رد هو : انتظريني بضع دقائق

قالت هي : أنتظرك إلى آخر العمر

عادت لونا : وغضبت عندما رأت اسمه

أحمد ثانيةً!

نظرت هنادي لها باندهاش، وأومأت رأسها بالإيجاب

لونا مبتسمة : أصحيح هذا ! أحببتيه يا هنادي

هنادي مبتســـمة : نعم يا لونا أحببته، كانت عيونها مليئة بالشوق أكثـــر من أي وقت مضى، ثم أكملت حديثهـــا : أحببته دون أن أراه في حياتي، أحببته وهو ليس مـــن وطني، لكن يكفي أنه عربي.

لونا ضاحكة : الآن فهمت

هنادي التي تحب التاريخ وتدرســـه وتؤمن بالقومية العربية وقضاياها أرادت أن تطبق ذلك في الحقيقة، وأحبت أحمد ذلك الشـــاب المصري

وتظن بأنها بحبها هذا ... ســـوف تعيد الوحدة المصرية السورية من جديد كان اســـتعراض لونا يكفي لكي تضحك هنادي

ضحكوا الاثنين، وجلســـت لونـــا على مقعدها، لكـــن هنادي ذهبت بتفكيرها إلى مـــكان بعيد.

أهـــي حقًّا تفكر بنفس هذا التفكير ... حبها لأحمد ليس إلا عاطفة وحماس فقط .. لكن قلبها كان لها بالمرصاد، فرد نيابةً عنها : بل نيابة عن كل العاشقين.

لالالا إن لونا لا تعلم أي شيء .. أنا فقط الذي أعلم ما معنى حبك لأحمد!!

***

الشـــمس هي الوحيده التي تعيد الأمل مرة أخرى إلى الحياة، ترســـل إليك أشعتها الدافئة لكي تشعر بجمال يوم جديد، تخترق الظلام الذي بداخلـــك تهجم عليه مرارًا وتكرارًا، حتى يعلن قلبك عن هدنة مؤقتة.

دخل إلى عمله في نشاط، مقهى راق بعض الشيء، هذا كل ما يملكه زوج أخته حصيلة ســـنين قد قضاها في الخارج، عينه مديراً للحســـابات ومشـــرفًا على العمال حتى يحمل عنه بعض توترات العمل.

يـــوم روتيني جدًّا ... لا ينتهي حتى رحل آخر ضيف في المكان حكايات العاملين لا تتوقف... خلافاتهم أيضاً لا تنتهي ممزوجة ببعض المشاكل الـــتي بين أخته وزوجها خلايا رأســـه تعلن عن ثورتهـــا ... وعقله مليء بالضوضاء.

كاد ينفجر بسبب الضغط الذي يحمله على كتفيه، طلب كوبًا من القهوة، وجلس يعزف على الشيشا، وأنينها كان ممزوجاً بصوت حليم.

جـــاء هاتف في أذنه يفكره بها، قال في نفســـه « يـــا له من أحمق ... كيف لي أن أنســـى هنادي»

كيف لي أن أنسى نفسي ... أليست هنادي نفسك يا أحمد ؟

تتحدى العالم من أجلها ... وتقف ضده لكي تكون فقط معها

قام بالاتصال بها ... لكنها لم تجب

قام بالاتصال ثانية ... لكنها لم تجب أيضاً

في المره الثالثة أجابت!

لكن لم تكن هي .... بل فيروز بصوتها العذب

غنى حليم « مشغول وحياتك مشغول»

فردت عليه فيروز « لا تعتب على أخرني القمر»

حتي جاء صوت هنادي وهي تقول : الووو

خرج قلبه من مكانه .. وطبول قلبه أعلنت الحرب

الآن يا صديقي قد حمي الوطيس

أحمد وصوته مليىء ببعض الشوق : وحشتيني

ردت هي في تكبر الأنثي : كاذب

أحمد وصوته عطوفاً : أسفاً ... فالعمل أصبح صعبًا، وأكثر من أي وقت مضى، لكن من يجعل في نفسي الأمل .. إنني سوف أراك بعد ثلاثة شهور .

هنادي وصوتها جاء بفرحة كبيرة : حقًا يا أحمد

أحمـــد : نعـــم ....كل ما عليك أنت تخبري والديك ..سـنعقد القِران ونمضي أســبوعًا في دمشـــق ثم نعود إلى مصر

هنادي : نعم ... أليس من المفترض أن تقيم لي حفل زفاف

أحمد مبتســـمًا : سأقيم لك أعظم حفل زفاف، لكن عندما نعود إلى مصر .

هنادي: لالالا من المفترض أن نقيم حفل زفاف وســـط الأقارب حتى يعلموا .

أحمد مبتسمًا : اشتقت إليك كثيراً

هنادي وعيونها اتسعت من فرحتها : وأنت أيضاً

ولم تكمل حديثها حتى سمع مشـــاجرة .. أغلق الهاتف بعدما اعتذر لها، وذهب لكي يعرف ماذا يحدث ؟

***

حل المساء ... الجو هادئ بعض الشيء

جلست تصبر روحها بصور له

كأنها تريد أن تعيش معه داخل لحظات حياته

ياالله كم أنت جميل !

قالت تلك العبارة ولم تبال في وصول أمها وجلوسها بالقرب منها

داعبت أمها خصلات شعرها ... ففزعت هنادي وأغلقت الهاتف

والدتها مبتسمة : ابنتي حبيبتي أصبحت كبيرة وتحب أيضاً، لكن من يكون ذلك الشاب المحظوظ يا ترى

هنـــادي .. ووجها بدا بالاحمرار والخجـــل ... اسمه أحمد يا أمي، مصري اندهشـــت أمها كثيرا وقالـــت في حزن : مصري !

هنادي : نعم يا أمي مصري، وســـوف يأتي بعد ثلاثة شهور لكي يعقد قِراننا.

قالتهـــا هنادي وعيونها مليئة بالحنـــان، لا تعرف هل هو حنان تجاه أمها أم لأنها تتحدث عنه.

ردت أمها في محاولة منها لاستيعاب القصة : أتحبينه ؟

هنادي أومأت رأسها كطفلة صغيرة تعجبها قطعة حلوى

احتضنتها أمها وقالت : لكن أريد أن أراه، يجب أن يكون وســـيمًا مثل والدك

هنادي مداعبة في محاوله منها للهروب من أمها : أتحبين أبي يا أمي؟

والدتها أومأت رأسها هي الآخرة وقالت : كثيراً يا ابنتي، حتى كدت أذهب إلى خطبته بدلاً منه .. لكن لا تهربي من سؤالي أريد أن أرى أحمد

قامـــت هنادي باختيار أجمـــل صورة له كان يجلـــس وخلفه الهرم الأكبر ويرتدي ملابس ســـوداء تظهر ووجه الوســـيم ويضع قدماً أعلى الأخرى ويمســـك في يده كتابًا.

والدتها مبتسمة : تمام .. جيد

هنادي مبتسمة : جميل يا أمي جميل وليس جيدًا

أمها مبتسمة : لكن أعتقد أن مصر أجمل منه مائة مرة

هنادي أرادت أن تعلم نوايا أمها فقالت : إذا أنت موافقة

والدتها في حنكة رجل سياسي : مبدئيًا، ولكن الرأي الأول والأخير إلى رب المنزل احتضنت هنادي أمها، فرن جرس المنزل معلناً عن وصول والدها

***

جلس أحمد مع زوج أخته يقومون بمراجعة حسابات الشهر المنصرم أراد أحمد أن يفاتح زوج أخته أولاً قبل أن يخبر أهله فهو يعتبره أكثر من صديق يدعي «جلال» شاب في ال ٣٩ من عمره، عاش طيلة حياته يبحث عن عمل في كل مكان، حتى جاء إليه فرصة للسفر إلى الخارج سافر وكسب مالاً وفيراً ... وعاد إلى موطنه مطالبًا بالاستقرار وتزوج من «أمل» أخت أحمد

جلال : أيوجد شيء يا أحمد ... ما الذي يشغل خاطرك؟

أحمد كان حزينًا للغاية لا يرد أن يثقل على جلال فيكفي اضطرابات العمل أنت الوحيد في هذا العالم يا جلال الذي في استطاعتك أن تنهي هذه القصة، وأن تقوم بإقناع أبي.

اندهش جلال لحديث أحمد .. فقال أيوجد مشاكل بينك وبين أبيك.

أحمد لا لا لكنني أريد أن أتزوج.

ضحك جلال كثيرًا حتى كاد يسقط على الأرض ... لكني لا أرى أي إزعاج في هذا الأمر يا صديقي فهذا حقك من تكون سعيدة الحظ يا ترى .

ابتسم أحمد .. فحديث جلال يعطي إشارة إيجابية اسمها هنادي

جلال مندهشًا : هنادي آها، ومن أين تكون هنادي؟

أحمد : سورية

اندهش جلال أكثر : سوريا

أحمد : نعم تعرفت عليها، وأريد أن أسافر لمقابلة أهلها والتزوج منها

جلال ضاحكًا : ثم تستيقظ من نومك وتجد أبيك بجانبك

أحمد عابثاً : أيوجد مانع يا صديقي ؟!

جلال صارمًا : نعم فهذا ليس حب يا أحمد أنت لم ترها من الأساس

أحمد مهاجمًا يريد أن يجد ثغرة لإقناع جلال : أنت مثلي تماماً

نظر جلال إلى أحمد مندهشًا

فأكمـــل أحمد حديثه : نعم أنت مثلي تماماً، فأنت لم تكن ترى أختي سوى مرة واحدة، وعقدتم حفل زفافكم، والآن تحبها وهي أيضًا تحبك

جلال في دور الأخ الأكبر : أريد أن أجعلك تفهم يا أحمد الحب أنواع الحـــب مثل المنزل الذي دمرته الحـــرب في الأول تيأس منه وبعدما تقوم ببنائه على الوجه الأمثل تحبه ليس لأنه يستحق أن تحبه بل لأنك أنت الذي أسســـته كذلك الزواج يا صديقي لا تستطيع هدمه بعدما ضاع عمرك في بنائه .

أحمد : ليس في إمكانـــي أن أبتعد عنها يا جلال... أليس وعد الحر ديناً عليـــه ولا يوفي الدين إلا الرجال .. وأنا رجل .

ابتسم جلال ابتسامة الأخ ممزوجة ببعض من الفرح والحنان والخوف في آن واحد .. حسناً ستجدني دائماً جانبك .

لكن أريد أن أخبرك بشيء أولاً : الحب ليس كما تعتقد يا صديقي

***

قليل من الشاي ... كثير من صوت الناي

حتى تستطيع أن تنتظره كعادة كل يوم فهي تحتاج إليه أكثر من أي وقت قد مضى، في غيابه تتوقف عقارب الساعة والزمن يعلن عن اعتصامه لا شيء يمر في غيابه يصبح العالم بطيئًا من حولها، والخوف وحده من يسكن قلبها حتى يقوم بالاتصال بها.

فتجد اسمه ... العالم بأكمله يركد بسرعة البرق ويجلسون يتسامرون فيسرقهم الوقت

فتجد نفسها مغشياً عليها نائمة محتضنة هاتفها

لا تعلم أهي نامت بمحض إرادتها

أم غلبها النعاس ..

«حقًا ..... لقد شغفها حبًا»

كل يوم يمر على هذا الحال فهي تنتظر ذلك اليوم

الذي يأتي لكي يطلب يدها من أبيها، ويتزوجوا ثم يرحلوا إلى مصر

هذه البلد الغريبة، التي احتضنت كل جنسيات العالم، احتضنت كل المشردين وكل المهجَّرين وكل الهاربين الفارين من بطش الحروب، فظلت بلد الأمن والأمان فأصبحت يا صديقي أم الدنيا.

ياالله كم أشتاق إلى رؤيتك يا مصر !

***

لم تفكر يومًا أنها تتزوج من خارج جنسيتها فكل شباب الحي عاشقون لها .. فتاة بريئة وعيون واسعة تغرق فيهم إذا لم تقاوم ذلك الموج العالي كل شـــيء فيها .. يعطيك الإشـــارة على عدم الاقتراب منها حتى لا تصدمك فتســـقط مغشيًا عليك ذكية ومرحة وتحب دراستها كثيرًا

في أحد الأيام كانت تبحث في ملفات الوحدة السورية المصرية،

وكيف كانت هذه الوحدة وضعت عنوانًا مناســـبًا للبحث ثم بدأت فيه كل ما ينقصها أن تسمع حديث المصريين أنفسهم مرت بالكثير من المواطنـــين حتى جاء الدور على أحمد علي الرغم من أن دراســـته تبتعد كل البعـــد عن التاريخ فإنها اندهشـــت .. حقًا من كم المعلومات التي يمتلكهـــا كم من الحواديت وكم من الحكاوي التي حكي لها عنها حقًا لم تسمعها من أحد قط.

ظل أحمد صديقًا فقط... حتى مرت عليه سنة ونصف

كل محادثتهم كانت كتابة عبر مواقع التواصل

حتى جاء اليوم الذي سمع فيه صوتها

ورأى صورتها ... فجُن جنونه

وكاد يُغشى عليه حقًا

قال وهو يضحك ضحكًا هستريًا ويغلق عينيه ويفتحهما

أأنت حقيقة؟

ردت هي ببراءتها ... نعم أيوجد لديك مانع؟

وبدأ الحديث يأخذ مجرى آخر غير الذي تعود عليه معها

حتى جاء الوقت المرتقب

«فقد أصابه عشقها»

نعم إني أشعر بالحب

تجاهك ... ولم أرك

وأعلم أن هذا هو عين الجنون

أن تعشق أحد من صورته

لكن قصص العاشقين مليئة بالجنون ليست قصتي وحدها

إني أحببتك وكأن الله أرسلك إليَّ لكي تعيدي لي الحياة من جديد

اعلم بأن كل زوجين خلقوا لبعضهم البعض منذ الدهر

لذلك ما هو جوابك ؟

قالت له في رومانسية شديدة

دعنا نمض معًا يا أحمد

نمضي بمحض إرادتنا

فإذا كان هذا قدرنا

فالله يا أحمد ولي التدبير

***

يوم الجمعة .... يوم مليىء بكل رسالات السلام و الطمأنينة

منذ فجره ... جلست أمه تقرأ سورة الكهف وتصلي قيام الليل

وتدعي له ولأخته .. أن يحميهم الله

سمع صوتها ... وأذن الأذان فقام لصلاة الفجر

صاحب والده إلى المسجد

كانت جموع المصلين يرسلون إلى قلبه علامات إيجابية كثيرة

صلي بجانب والده

وضع كتفه في كتف والده

كأنهم صديقان حميمان

لقد عاهد نفسه على أنه يبقى قريبًا منه

حتى ميعاد لقاء ربه، فهذه سنة الحياة

قال الإمام .. «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»

وكانت هذه بمثابة الرسالة الأولى

وفي الركعة الثانية قال «رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري»

وكانت هذه الرسالة الثانية

وكأن الإمام يعلم ما في قلبه

خرجوا من المسجد فبدأ أحمد في محاولة منه لبدء الحديث

إني في مشكلة يا أبي

نظر إليه والده ... إن مع العسر يسرا يا أحمد

أخبرني ماذا بك؟

قص أحمد على أبيه القصة بأكملها

كان رد فعل أبيه مقنعًا للغاية

فقال وهو يمسك بمسبحة ... أأنت مقتنع بذلك

قال أحمد وهو ينظر في الأرض ... نعم

قال أبوه في ابتسامة خفيفة : إذاً فتوكل على الله فهو حسبك

عندما قال يعقوب «إني أخاف أن يأكله الذئب»

إخذ الله منه يوسف

لكنه عندما قال -عليه السلام- « فوضت أمري إلى الله»

رده إليه .. سالمًا غانمًا، وكان عزيز مصر

قبَّل أحمد يد أبيه، وكأنه يستمد منها بعض البركة

وصلوا إلى المنزل ...وذهب إلى غرفته .. وعاد إلى النوم

وكان يشعر أن همًّا ثقيلاً قد أزيح من على قلبه

***

في الصباح

خطبة الجمعة .... والصلاة على النبي الهمام

وكان حديث عائلة أحمد ... نفس حديث عائلة هنادي

والد هنادي: أتتركين أبويك يا هنادي وتذهبين إلى مصر؟

هنادي : سوف آتي إليكم في كل إجازة يا أبي

والد أحمد : لكن إذا لم يوافق والداها يا أحمد

أحمد : سأعود على الفور يا أمي

والد هنادي :أأنت مقتنعة بذلك يا ابنتي؟

هنادي: نعم يا أبي... لم ينقص الأمر سوى مباركتك

والد أحمد : لكن يجب أن تجلســـوا معنا لبعض الوقت حتى نستطيع ترتيب منزلك.

أحمد مبتسمًا : لا تقلق يا أبي ... فجلال سيفعل كل شيء

«سنقيم عرسًا هنا ... حتى علم الأقرباء ولكن مازال قلبي يؤلمني

قال ذلك والد هنادي إلى أمها.

ردت أمها وقالت في هدوء تام : لا تقلق ســـوف نذهب إلى رؤيتها وقتما تشاء، وسوف تكون فرصه عظيمه لرؤية مصر مراراً وتكراراً،

أما عن أخت أحمد « أمل » فكانت ومازالت تشعر بالفرح لا تعرف لماذا

ولكن لأن هذا الأخ الصغير سوف يتزوج

يوما حلمت بيه كثيرا

سوف نقيم لك عرسًا ستتحدث عنه مصر بأكملها يا أخي

ابتسم أحمد وعادت الحيوية، وعاد النشاط إليه مرة أخرى

وكأنه قد أضاع شيئًا

وأخيرا قد وصل إليه

قال أبوه : متى سوف تذهب إلى سوريا ؟

رد أحمد مبتسمًا : بعد ثلاثة شهور إن شاء الله يا أبي

سوف أذهب إلى العمل

فجلال بمفرده ... وهذا نادرًا ما يحدث

أمل : أبلغ سلامي لجلال

أحمد مداعبًا : لكنه مل منك يا أمل

فردت أمل بابتسامة : اعلم ذلك

ولكني أعلم أيضا أنه يحبني .. وأنا أحببته

أحمد مبتسما : سبحان مغير الأحوال ... منذ متى وأنت تحبين جلال؟

ردت أمل في دبلوماسية : إنه الحب يا عزيزي

يأتي دون ميعاد سابق!

***

في الشوارع والميادين .. جميع الناس ينفرون من الازدحام إلا هو

فالازدحام يمنحه مزيدًا من الوقت لكي يتحدث إليها كما يشاء

أحمد : سوف آتي في موعدي يا حبيبتي

هنادي : أأخبرت عائلتك يا أحمد؟

أحمد : نعم وهم يرحبون بك.

هنادي : لا تكذب عليَّ .. لا أريد أن أكون سببًا في توتر يحدث بينك وبين عائلتك.

أحمد : أقسم لك أن كل شيء على ما يرام

هنادي : أريد أن أخبرك بشيء .. أن أبي وأمي وافقوا

أحمد ... يا أحمد

صمت أحمد لبضع لحظات ... السـعادة كانت صادمة .. قليل من السعادة تفعل مثل تلك الأفعال

حقا يا هنادي .. إنني أقسمت لك بأن تكوني معي لآخر عمري

هنادي : وأنا أقسـمت لك أيضا بأنني أظـل أحبك إلى آخر يوم في عمري

أحمد : سننجب ولدين إن شاء الله

هنادي : لا سننجب بنتين

أحمد : لا سننجب ولدين أحدهم يصبح قائدًا عظيمًا للجيش

والآخر يكون رئيسًا للدولة

ويحكمون العالم

هنادي : حسنا ماذا ستكون أسماؤهم يا ترى ؟

أحمد : الأول سيكون اسمه «أيبك» والثاني سيكون اسمه « بيبرس»

سأجعلهم رجال أشداء لا يخشون إلا الله

عونا لنا وسندًا لوطنهم

هنادي مداعبة : وماذا عن وطني يا ترى

أحمد : هل لديك شك واحد أننا نبيع إخواننا يا عزيزتي

هنادي : لا أنا أثق بك يا أحمد وإلا لم أكن أحببتك

أحمد : لكني أحببتك اولا

هنادي : لا أنا من أحببتك أولا

ابتسم أحمد ووصل إلى العمل ... وقبل أن يبدأ في عمله قال لها :

لا داعي للمشاجرة .. سأكتفي بهذا القدر من الحب

والآن يا حبيبتي ...سأتركك لبضع ساعات فالعمل يناديني

هنادي : حسنا يا حبيبي حفظك الله

لأول مرة تقولها .. لأحد في هذا العالم

كانت من نصيبه هو

أليس هو من امتلك قلبها!

***

في العمل .. الوضع هادئ بعض الشيء

وقف جلال .. مثل أي عامل لديه

فهو يعتاد على ذلك

أحمد مبتسما : لماذا تعمل بيدك يا جلال

جلال مبتسما : أليس من حق صاحب العمل أن يعمل بنفسه يا أحمد

أحمد مندهشا : أأنت صاحب العمل

أومأ جلال رأسه بالإيجاب وقال : هل لديك مانع يا صديقي

أحمد وعيونه مليئة بالتحدي : نعم انت لا تعلم أي شيء عن العمل

أنا كل شيء هنا

أتستطيع أن تخبرني كيفيه تحضير بعض المشروبات

نظر إليه جلال نظرة المغلوب : وقال له إذا أنت تريد أن أبرحك ضربا

أحمد مبتسما : لالا أنت أخي لكن من الواضح أنك تريد أن تلعب

جلال : يوجد كثير من مخلفات الزبائن من يفوز على رقعة الشطرنج

يحكم على الثاني وأشار إلى أحمد بتنظيفهم.

أحمد : سأشفق عليك من هذا الكم الهائل من الخسائر التي تتحملها على رقعة الشطرنج وهنا ... وأشار إلى الصحون

فقال جلال مبتسما ابتسامة الدهاء

على رقعة الشطرنج يا صديقي الغلبة لمن يملك المعلومات

أحمد ... حسنًا سنرى الآن

وضعوا الرقعة على الطاولة

اصطفت الجنود صفا واحدا في نظام

المدافع في الخلف وسلاح الفروسية بجانبهم

ووقف الملك مرفوع رأسه

وبجانبه وزيره في ثوبه العسكري يحميه

الآن يا صديقي تبدأ المعركة

***

دخلت هنادي حجرة الجلوس

فوجدت أبيها يجلس يتابع الأخبار

وأمها تصنع لها ثوباً... بيديها

مساء الخير يا أبي ... مساء الخير يا أمي

أبوها : مساء النور يا هنادي أريد فنجال قهوة لكي أستطيع أن أكمل سهرتي معكم.

ابتسمت هنادي ... وقالت في خفة ... اها كنت تتحدث مع أمي في شيء ولا تريدني أن أعرف ما هو حسنا حسنا سوف اذهب لتحضير القهوة .

ضحكت أمها وقالت : لا يا حبيبتي من الممكن أن أذهب أنا

هنادي : لا يا أمي استريحي

ذهبت هنادي وجاء أحد آخر وقطع حديثهم إنه مذيع التلفاز

جاء بخبر عاجل جدا

مجموعة من الإرهابيين نفذوا عملية في إحدى المناطق السورية يطلقون على أنفسهم اسم داعش

والدة هنادي : ماذا تعني كلمة داعش يا فؤاد

والد هنادي : لا أعلم ولكن يقولون إنهم قاموا بالقبض على عدد كبير منهم حتما سنعلم بعد قليل

والدة هنادي :أريد أن أخبرك بشيء

والد هنادي : ماذا ؟

والدة هنادي : يجب أن نذهب لشراء بعض الملابس لهنادي

ليس من المفترض أن تذهب إلى مصر بملابس قديمة

رد والد هنـــادي وهو ينظر من أعلى نظارتـــه : بالتأكيد يا حبيبتي فأنـــا كنت أفكر في ذلك أيضا كما أنني قمت بإخبار صديقي حســـان عن القاعة الخاصة به حيث نقوم بعقد القِران في المسجد ثم نقيم حفلا هناك والدة هنادي كانت ســـعيدة فقالت بصـــوت مرتفع أريد أن يكون حفل زفاف رائعا .

نهـــض فؤاد من على مقعده وجلس بجانب زوجته وقال في ابتســـامة رائعة : حتما أليســـت ابنتنا الوحيدة لكن مـــاذا لو أحضرنا طفلة ثانية

والدة هنادي : نعم ... لا لقد مر بنا العمر يا حبيبي

ضحك الاثنان كعاشـــقين صغيرين، وقال تحدثي عن نفســـك أنا مازلت صغيرا دخلـــت هنادي ووضعت القهوة وقالت : كان من المفترض أن آتي بعصير بدلا من القهوة .

***

تقهقهر أحمـــد الوزير إلى الخلف حتى يســـتطيع حماية الملك من هجمة الفرس الدموية

ضحك جلال ضحكة شـــريرة تعبر عن أن النصر قريب فعزز الفرس بالمدفع حتى يستطيع أن يضيق عليه الخناق فهجم أحمد بالفيل الخاص بـــه جعله في مأزق وقال في تهكم شـــديد.. الآن يا صديقي إما أن تفقد وزيرك وإما أن تفقد أحد المدافع.

فقال جلال في دهاء عسكري ... لكن عليك أولا أن تحمي جنودك

وهذا أول درس سوف أعلمه لك .

الجنود يا أحمد .. هم عماد الجيش وقلب الخطط العسكرية يجب دائما أن تحافظ عليهم

لم يركز أحمد في الجندي القريب من الفيل

وفي حركة سريعة انقض الجندي على الفيل فأسقطه أرضا

فعاد أحمد يفكر في حماية الملك

اصطنع جلال هزيمة مزيفة

حتي جعل أحمد يزيد من هجماته

فقام أحمد بترحيل الوزير من جانب الملك وأصبح وحيدا بمفرده

فوضع جلال الوزير أمام الملك الخاص به

وقال: سأخبرك بدرس آخر

إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة

لا تجعل ملكك بمفرده مرة ثانية

فوضع جلال مدفعا بجانب الملك فقام بقتله

لقد انهزمت يا صديقي ... اذهب إلى العمل الآن

سار أحمد في خطوات ثابتة .. كتلك الأسرى الذين قد تم أسرهم في الحروب ثم وقف ونظر إلى جلال الذي لم ينظر إليه وقال في ثبات المنتصر : إن الحرب يا صديقي خدعة يجب عليك أن تكون على أتم الاستعداد فالأعداء يا صديقي لا يوجد في قاموسهم معني لكلمة شرف

***

{يبكي ويضحك .... لا حزنا .... ولا فرحا كعاشـــق خط سطرا في الهوا ومحا}

جلست في غرفتها كعادتها وتضع في يدها كوبا من الشاي

أمله أن يدخل الدفء في قلبها

لونا ... بصوتها المرح .. وصخبها المحبوب

اســـتأذن بالدخول إلى مملكتك ؟ قالتهـــا وهي مازالت منتظره على الباب.

هنادي : لونا اشتقت إليكِ كثيرا يا أختي

لونا : وأنا أيضا لذلك جئت إلى رؤيتك

هنادي : أين خالتي ياسمينا؟

لونا : في المنزل فهي مريضة قليلا

هنادي : لكن ماذا بها؟

لونا : إنها مريضة بالبرد فلا تقلقي ... ولكن .. احك لي

ماذا عن آخر المفاوضات بين البلدين السوري والمصري

ضحكت هنادي ... وقالت في ابتسامتها

لقد توصلنا إلى اتفاق ودي يرضي جميع الأطراف

سنعقد قِراننا هنا ونقيم حفلا صغيرا ثم نذهب إلى مصر

شعرت لونا بالحزن لفراق أختها وصديقتها الوحيدة

وقالت : وماذا عني أنا؟

احتضنت هنادي لونا وقالت: سنكون بجانب بعضنا البعض

سوف أرسل إليك في العطلات وستأتي إليَّ في الأعياد

فالمسافة ستكون أقصر مما تتوقعين يا عزيزتي .

حاولت لونا ... إخفاء دموعها ... لكنها لم تستطع

حتى هنادي التي ظهرت أقوى مما بداخلها

كانت تبكي في داخلها ... لكنها استطاعت أن تصبر لونا

وقالت في حنان: ...لوكان لدي أخت يا لونا

لما تكن مثلك إني فخورة بك عزيزتي

تحول البكاء إلى ... مداعبات وقتال باليد

حتى سمعت صوتَهم أمها ... فجأت معلنة على موعد العشاء

***

سكون الليل .. ممزوج بضي القمر

في تلك الساعات الأولى من بداية يوم جديد

يجلس الإنسان وحده يعيد ذكرياته من جديد

يضع أحلامه نصب عينيه، يخطط إلى مستقبله، يحكي مع أحبائه في داخله حتي هؤلاء الراحلون عنا ... وهؤلاء الغائبون فينا يأتون كل يوم في تلك الساعات المتأخرة من الليل يجلسون معنا ... ويخطبون ودنا

حتي أحمد .... له نصيب من تلك الحكايات، له نصيب من لقاء الأحباء له نصيب أيضا من العشق التفكير وحده لا يكفي ... العناق أيضا لا يكفي، حتي الجلوس بجانب الأحباء لا يكفي يجب عليك أن

تكتب أسماءهـــم ... وتعيد ترتيلها الآلاف من المرات حتى تحفظهم عن ظهر قلب .

هنادي ... اشـــتقت إليك ... أكثر مـــن أي وقت قد مضي، فكلما اقترب موعد لقائنا ...تجدد الشـــوق في قلبي

لا أعلم ماذا ســـيفعل قلـــبي حينما أراك، ماذا ســـتفعل عيناي؟ ... عندما تأتي أمامهم، كيف ســـتتحرك مشـــاعري تجاهك؟ لا أكتفي باحتضانـــك أبدا فأنت لدي مثل الأرض المحتلـــة، التي عادت أخيرا إلى أصحابها فالســـجود عليها وتقبيل رمالهـــا، لا يكفي يا حبيبتي

عانق وســـادته ... ودخل في نـــوم عميق فالصباح ملـــيء بالأعمال الروتينيـــة التي يجب أن ينهيها قبل ســـفره إلى ســـوريا

***

صباح الخير يا أحمد

دخل والده عليه ... وفتح ستار غرفته، حيث أعلنت الشمس عن بداية يوم جديد... منذ لحظات

أحمد .... صباح الخير يا أبي ...أيوجد شيء؟

والده مبتسما : نعم استيقظ ... ألا توجد أعمال يجب أن تنهيها ؟

أحمد وهو يفتح عينيه بصعوبة شديدة نعم يا أبي

والده : حسنا سوف أذهب معك.

أحمد : الاندهاش يملأ تفكيره ... لكن لماذا ؟

والده : وهو نشيط سوف أصطحبك للإفطار معا

ثم نذهب إلى مصلحة الجوازات ... ننهي إجراءات سفرك ... وبعدها تذهب إلى عملك .

أحمد : ابتســـم ... وسارع بالنهوض من فراشه ... وذهب لكي يبدل ملابســـه حسنا بعد لحظات سأكون على أتم الاستعداد

والده : وأنا سوف أنتظرك في الخارج

قام أحمد بتبديل ملابسه

وضع النظارة الشمسية فوق أعينه وذهب إلى حيث يجلس أبيه

صباح الخير يا أمي.

والدته .. صباح الخير يا أحمد ... سنقوم بتحضير الإفطار حالا

والده : لا سوف نذهب حتى لا يسرقنا الوقت

تقدم الأب ... وأحمد خلفه ... استقلا سيارتهما العتيقة

وذهبا إلى مصلحة الجوازات والهجرة

***

في مدرج به عدد لا بأس به من الطلاب ... انتبه المعلم بوجود طالبة ليست منتبهة لما يقوم بشرحه

فأشار إليها ... هنادي

أفاقت هنادي من شـــرودها ووقفت معلنة عـــن احترامها للمعلم ... وقالت في هدوء : نعم

المعلم : أملي عليَّ ما كنت أقوله الآن.

هنادي : آسفة يا دكتور : فأنا لم أنتبه إليك

المعلم : حسنا من فضلك للملي أغراضك واذهبي إلى الخارج وعندما تكونين مستيقظة أهلا بك

خرجت هنادي من المحاضرة، والجميع ينظر إليها في اندهاش شديد

جلست على أريكة ... تحكي مع نفسها، ماذا بك يا هنادي

لماذا أصبح أحمد ... يأخذ كل تفكيرك

أليس من الأفضل أن تنتبهي إلى دراستك

لو أنك رسبتي هذا العام لن يقبل أبيك زواجك على الإطلاق

فشرطه الأساسي ... أن أنهي تعليمي أولا

لونا ... هنادي ... هنادي

قالتها أكثر من مرة ... لونا هنا منذ بضع دقائق

لكن هنادي لم تنتبه لها

هنادي : نعم

لونا : أنا هنا منذ زمن ... ماذا بك؟

هنادي .. لا يوجد شيء .. إنني على ما يرام

أخذت هنادي كتبها وأعلنت الرحيل

لونا مندهشة لما يحدث ... : إلى اين

هنادي : إلى المنزل فأنا متعبة قليلا

ويجب أن أنهي دراستي .. فالامتحان الأول بعد ثلاثة أيام

لونا .. ألا يوجد لديك محاضرات ؟

هنادي :لا

لونا : اجلسي معي

هنادي : آسفة يا لونا .. يجب أن أذهب إلى المنزل، ويجب عليك أيضا أن تفعلي مثلي

سارت هنادي في خطوات ثابتة

حتى بعدت عن عيون لونا

شاورت إلى سيارة أجرة

أخذت تفكر فيه أكثر من اللازم

حتى إنها لم تشعر بالسائق وهو يتحدث اليها

انتبهت هنادي إلى وقوف السيارة أمام منزلها

دفعت الأجرة ودخلت إلى المنزل

لم يكن أحد فيه على الإطلاق

دخلت غرفتها وارتمت بين أحضان فراشـــها، كان يبدو عليها التعب والإرهاق لكن كان أحمد هو الســـبب الرئيس في ذلك

حتى إنها فكرت أكثر من مرة أن تعود إلى سابق عهدها

لكن الحب أكبر عهد وأهم عهد، كانت قد اتخذته على نفســـها في الآونة الأخيرة

***

أنهى أحمد ترتيبات سفره .... ولم يتبق منها سوى القليل

جلس في مطعم مع والده .... يتناولون وجبة الإفطار

النيل على مرم البصر ... يوجد به بعض المراكب الصغيرة، وكأنه حلف لكي يعطي فقط الرزق الذي ينبعث منه ،سواء في المياه التي يشربها المصريون ،أو في تلك المراكب التي يتنزه فيها البعض

حتي تلك الفنادق والسفن العملاقة التي تطل عليها، عندما تأتي بجانبه وتنظر إليه تستريح

وكل القلوب التي أرهقتها المصائب تتطمئن وتستريح

حتى العشاق لم يجدوا وطنا لحبهم إلا هنا

تحدث معه أبوه عن إن كان مازال مقتنعا بما يفعله أم لا

رد أحمد : في عيون باهتة ... نعم يا أبي ولم أتراجع عن ذلك

والده : ولكني أخاف عليك يا أحمد

أحمد : مبتسما لا تقلق يا أبي .. فلكل شخص قدر سوف يأتي إليه لا محالة ابتسم الأب ابتسامة مصطنعة تكاد تخفي وراءها ملايين من الحزن حسنا يا ابني ... فأنا قد عهدت نفسي على ألا أرغمك على شيء أنت لم تقتنع به ... حتى أجعلك إنسانا ناضجا تتحمل مسئولية اختيارتك تم الانتهاء من الطعام، وذهب كل منه في طريقه

حديث والده يتردد داخل أذنيه

كان ينظر إلى العالم ... كأنه آدم ... وخلق الآن

أراد أن يشبع نفسه من وجوه الناس، ومن الشوارع ومن الميادين

هنا كانت الثورة، وهنا كان طريق المدرسة وهذه جامعتي،وهنا كان لقاء أول حبيب وهنا كنت أودع رفاق الدرب الذين قضيت معهم

٤ سنوات من عمري ... في دراستي بجامعه عين شمس

وهنا عملي

وهذا جلال ... نظر إلى جلال من خلف الزجاج

وهو يقول في نفسه سأشتاق إليك كثيرا

يا أخي .... نعم ... سأشتاق إليك

فلو كان القدر ... أعطى لـــي أخا من ظهر أبي، لما كان فعل معي مثلما أنت تفعل

دخل إلى مكان العمل

سلم عليه سلام حميم كأنه لن يراه ثانية

جلسوا مع بعضهم البعض

جلال : أشعل سيجارته .. وقال : متى سوف تسافر يا صديقي؟

أحمد مبتسما : بعد أيام يا صديقي

حتى تكون هنادي قد أنهت دراستها

جلال : اقسم انك لمجنون .. لقد انتصرت على عاشق ليلي

أحمد : هكذا دائما عادتي .. إذا سرت على طريق يجب عليَّ أنا أنجح فيه

جلال : دوما أخاف من برج العقرب

ذلك البرج الواثق من نفسه دوما

أحمد وعيونه مليئة بالحنين لكني سوف أشتاق لك

جلال : كم يوما ستقضيهم في سوريا

أحمد : خمسة عشر يوما يا صديقي بالتمام والكمال

جلال : حسنا دعنا نقوم بشراء بعض الملابس

وبعض الأشياء التي سوف تحتاج إليها هناك

أحمد : إذا بعد العمل

جلال : اتفقنا .. اذهب إلى عملك .. ولا تتحدث معي كثيرا

أحمد كان مبتسما جدا ومتواضعا إلى أبعد حدود وقال في هدوء : حسنا يا صديقي لك ما طلبت .

أدار أحمد ظهره إلى جلال .. الذي ابتسم ابتسامة الأخ كعادته ويحك يا أحمد ... تركت كل بنات بلدنا لكي تذهب وتتزوج من الخارج لكن يعجبني قصتك حتما ستكون قصة مثلية أرويها إلى أولادي وأحفادي

***

بعد بضعة أيام

أنهى عمله على أكمل وجه ... كان يودع المكان بعيونه

لأول مرة ... يترجى عقارب الساعة ألا تتحرك

«ياالله .. بارك لنا في الوقت»

دعوه من أعماق قلبه ... ذهبت إلى عنان الســـماء اصطحبه جلال في رحلة تنزه ... في قلب وسط البلد داخل محافظة القاهرة ينظر إلى عيون الناس .. كان يشبع نفسه من وجوههم قام بشراء جميع احتياجاته... ووضعها في ســـيارة جلال وقاموا بالســـير على أرجلهـــم حتى وصلوا إلى ميدان التحرير هنا خلقت مصر ... في يوم من الأيام في مقهى .. مضى عليه أكثر من ربع قرن مقهي مليء بالحيوية والنشاط

وابتسامات العالم ... وجلوس الأجانب

كل شيء ... حتى صوت الجارسون وهو يطلب مطالبات الزبائن

بصوت مرتفع جدا ... يحمل معه شكلا من أشكال السعادة

الهواء يندفع نحو وجوههم في نشاط كبير

صوت الشيشا .. وكوب من القهوة

كافيان لضبط توازن رأسك

جلسوا أمام بعضهم البعض

ولم يتحدثوا... كان كل منهم يفكر في شيء مختلف

لكنه متصل في النهاية

جلال .. ماذا بك يا صديقي ؟

أحمد : لا شيء

جلال : حسنا فيما تفكر؟

أحمد: أفكر في أبي وأمي وأختي وأنت

الآن فقط شعرت بالمسئولية تجاهكم

جلال : لا تقلق ... إنهم في عيوني .. لا تجعلني أشعر أنك متردد

أحمد : لا أكذب عليك .. أنا متردد قليلا

ما رألأيك يا جلال لو أنك ذهبت معي

وجودك يا جلال .. يجعلني قويا جدا

جلال بابتسامته المعهودة : نعم أنا فكرت في ذلك الشيء

لكن لا يمكن .. كيف لي أن أترك أبيك وأمك و أختك والعمل

أحمد : لا يمكن ..على كل حال لا تقلق لن أغيب عنك كثيرا

جلال : أتريد شيئا آخر ؟

أحمد : لا

جلال : متى موعد الطائرة ؟

أحمد : في الرابعة فجرا

جلال : ومت ستصل؟

أحمد : في السادسة والنصف تقريبا

جلال : على بركه الله .. كان الله معك يا صديقي أينما ذهبت

والآن هيا بنا يجب أن تجلس مع والديك وأختك قبل السفر

أحمد : هيا بنا

عادوا إلى مكان السيارة ... سيرا على الأقدام وعيونه لم تشبع رغباتها بعد أعددت كل شـــيء لحفل الزفاف الصغير فســـتان أبيض أنيق جدا

وبسيط لا يوجد به الكثير من الزينة ارتدته مع الحذاء الخاص بالحفل وذهبت لكي يراها أبوها

والدها : ها هي العروس قد وصلت ما أجملك يا هنادي

أحمد محظوظ جدا بك

هنادي : حقا يا أبي ... أأنا جميلة؟

والدتها : ومن يشهد للعروس ؟

ضحكت هنادي .. وكانت الأرض تدور من تحت أقدامها

ذهبت إلى غرفتها .. تنظر إلى المرآة .. وتتخيل مراسم الزفاف

وأبوها يصطحبها ويعطيها إلى أحمد

ذلك المحتال الذي سرق قلبها

حتما سيكون أجمل وأغرب عرس في التاريخ

***

بدلت ملابس الزفاف بملابس النوم وذهبت إلى فراشها لعله يتحدث إليها وضعت كوبا من الشاي في يدها وجلست تسمع فيروز وعيونها مليئه بالشوق اغضمت عيونها .. لعلها تلقاه في خيالها رن هاتفها ... أسرعت نحوه لم يكن هو إنها لونا.

لونا : متى سنذهب إلى المطار؟

هنادي : في تمام الساعة الخامسة والنصف

لونا : سأجعل أسامه يأتي إلينا في تمام الساعة الخامسة

هنادي : حسنا سأكون على أتم الاستعداد

أغلقت هنادي الهاتف مع لونا فوجدت أحمد يقوم بالاتصال بها

هنادي : هل أنت مستعد؟

أحمـــد : ضحك بصوت عال جدا ثم قال : على أتم الاســـتعداد، أين صور فستان الزفاف؟

هنادي : ليس من المفترض أن تراه قبل الزفاف

أحمد : لماذا أنا أريد أن أراه الآن

أليس من الممكن أن أغير رأي في الزواج

ضحكت هنادي وقالت : لن تستطيع لقد فات الأوان

أحمد : إني أحبك

هنادي : أنا أيضا حبك

أحمد : سأغلق الهاتف الآن وسوف أقوم بالاتصال بك بعد قليل

هنادي : حسنا

أغلق أحمد الاتصال وخرج من غرفته

فوجد أمه وأخته يقومان بترتيب حقيبته

قبَّل أحمد يد أمه ورأسها وحضن أخته

لا تقلقوا لن أتاخر كثيرا

أين جلال ؟

أمه : جلال يجلس مع أبيك في الخارج

ذهب أحمد فوجد جلال يجلس مع أبيه يتسامرون في قصته

أحمد: الآن أصبحت حديث الساعة

ضحك أبوه وقال : نعم

جلال : ماذا بك؟ أحمد : لا يوجد شيء

جلال : حسنا أحضر حقيبتك ودعنا نذهب إلى المطار الآن

أحمد : الآن

جلال : نعم

أحمد : هل ستأتي معنا يا أبي؟

أبوه : بالتاكيد

دخل أحمد إلى غرفته وكان يودع كل شبر فيها

ولأول مرة يقوم بترتيبها بنفسه

خلع ملابسه وارتدى ملابس السفر

كانت ملابسه أنيقة

جعلته أجمل مما يتوقع

خرج من غرفته أحب أمه وأخته

كانوا يبكون وهو كان مبتسما

لكنه كان يبكي من الداخل

ضحك جلال وبشر قلبه

سلم عليهم سلام حارا وأخذ حقيبته وتقدم الباب معلنا عن الرحيل

***

نزلوا من السيارة ودخلوا إلى المطار

مطار القاهر الدولي

ودع أحمد أبيه وجلال

تقدم نحو صالة الإجراءات

وقف أمام الضابط

الضابط : إلى أين؟ أحمد: إلى سوريا

ختم الضابط جواز السفر وابتسم إلى أحمد

أخذ أحمد جواز السفر ووضع حقيبته على السير

وسار هو في اتجاه الطائرة

صعد للطائرة وكان من حسن حظه أن مقعده بجانب النافذة

كان القدر يعطيه الفرصة في أن يودع مصر كما يشاء

ربط حزام الأمان وصعدت الطائرة ،وبدأ الوطن يتباعد شيئا فشيئا

ونام حتى يستطيع مواصلة يومه من جديد.....

دقت الساعة الخامسة والنصف

سمعت هنادي صوت سيارة أسامه في الخارج، خرجت من منزلها مودعة أبيها وأمها

هنادي : لا تقلقي يا أمي لن أتأخر

أمها : سوف أقوم بتحضير الإفطار

هنادي : حسنا

أبوها : كان الله معك يا ابنتي

استقلت هنادي السيارة بصحبة أسامه ولونا وذهبوا لاستقبال أحمد.....

دقت الساعة السادسة والنصف

أعلن المطار عن وصول الطائرة القادمة من أم الدنيا

الضابط : حمد الله على سلامتك .. نورت وطنك الثاني أخي أحمد

أحمد : أشكرك

ظل منتظرا حقيبته .. فقام بالاتصال بها ها أنا هنا

هنادي : أنا في الخارج

أحمد : خمس دقائق وسأكون أمامك يا حبيبتي

هنادي : حسنا أنا في انتظارك

أحمد : أيمكن لي أن أحتضنك

هنادي : لا

أحمد :حقا

ضحكت هنادي وقالت: أنا في انتظارك

جلست لونا فوق السيارة ووقف أسامه ممسكا بيدها

أسامه : إن ابنة خالتك مجنونة

نظرت هنادي إلى أسامه وابتسمت ولم تعقب

كان قلبها يدق كثيرا أكثر من أي وقت مضى

وعيونها مليئة بالحب ... لقد اشتقت إليك يا أحمد

***

خرج من المطار ... ونظر إليها في ترقب شديد

كانت هي تنظر إلى العالم

ظل ينظر إليها دون أن يشير إليها

كان يريد أن يختبر قلبها نظرت إليه ... فنظر إليها

قالت في نفسها : أحمد ... أأنت أحمد؟

ابتسم قلب أحمد لقلب هنادي وأجاب في هيبة:

نعم

أسقط حقيبته على الأرض حتى يستطيع احتضانها بقدر المستطاع

نظرت إليه أكثر ... فوجدته أجمل مما ظنت بكثير

نظر إليها أكثر فظنها عشتار

سار في خطوات ثابتة نحوها

سارت هي الأخرى في اتجاهه .. وقلبها يرتجف من الداخل

كان يريد أن يهرول نحوها لكنه خشي الناس

لم يتبق سوى بضع خطوات

بضع خطوات تفصل بينه وبين قلب من أحب

توقفت عقارب الساعة

وتوقف الزمن من حوله

حتى وقع انفجار مدوٍّ

مجموعة من المرتزقة الذين يرفعون رايات سوداء

مثل دروب الليل .. مكتوب عليها اسم الله ورسوله

قتلوا البعض ... وقاموا بأسر البعض الآخر

سقط مغشياً عليه نتيجه الانفجار

وقف أحدهم على رأسه

نظر إليه وأشار إلى الآخر بأن يحمله

توقفت خلايا رأسه أيام وليال

حتى استيقظ ليجد نفسه في أحضان داعش

« داعش » هو اختصار لاسم الدولة الإسلامية في العراق والشام

تزعمها رجل يدعى أبابكر البغدادي

أطلق على نفسه لقب الخليفة

خليفة الدولة الإسلامية

سيطروا على مجموعة من المناطق

وأطلقوا عليها اسم ولاية

صكوا العملات ... وأنشأوا وطنا داخل الوطن العربي

يدعون الشرف والدين

وأن حلمهم هو عودة الدولة الإسلامية

ذبحوا الشيوخ .. قتلوا الرجال

وهتكوا أعراض النساء والأطفال

وتم بيعهم في سوق الرق والعبيد

سفكوا الدماء باسم الدين ... فعدنا مره أخرى إلى عصور

الجاهلية الأولى

تم وضع الأسير في غرفة .. لا يوجد بها سوى مكان واحد

ينبعث منه نور خافت

وتم تكبيله في مقعده .. ووضع غمامة على عيونه

دخل رجل في العقد الرابع من عمره .. يرتدي زي الأمراء

عيونه خضراوان .. ولحيته بنية اللون ... ينبعث منه نور

أشار إلى الحارس .. فقام الحارس بإزالة الغمامة وألقى بماء بارد على رأســـه فنبعثت إليه الروح من جديد وضع الأميرة يده خلفه وبدأ يتحرك في المكان وكأنه يفكر في الأسئلة !

الأمير : ما اسمك؟

أحمد في تلعثم شديد وتعب مفرط : اسمي أحمد

فقال الأمير : لماذ جئت إلى هنا ؟

قـــال أحمد :جئت إلى هنا لكي ...ثم صمت لثـــوان معدودة ...جاء في خاطره مشـــهد التلفاز لمجموعة من المســـلحين الذين قاموا ببعض العمليات في العراق

لا يختلفون عن هؤلاء الرجال الذين في الغرفة معه الآن

قطع الأمير تفكير أحمد وقال في حدة : هيا أكمل

أحمد جئت إلى هنا لكي أنضم إلى مجموعة من المقاتلين

ابتسم الأمير وقال في دهاء : ولكن لم يخبرني أحد بموعد وصولك

أحمد : اتفقت أنا وصديق لي على الذهاب إلى ســـوريا وبعدها نذهب إلى العراق

لكي ننضم إلى مجموعه من المقاتلين كان على تواصل مع أحد منهم

الأمير : وأين زميلك إذا؟

أحمد : لقد تم القبض عليه في مطار القاهرة

الأمير : أانت مصري؟

أحمد : نعم

الأمير : لماذا تم القبض عليه ؟

أحمد : كان صديقي عضوا في جماعة إســـلامية، وأنا طلبت منه أن يخفف لحيته حتى لا ينكشـــف أمره وأن يغير من ملابسه

لكـــن عندما دخل المطار وعندما رآه الضابط وبرغم تغير كل شـــيء حتى اسمه

إلا أنه قبض عليه

الأمير مبتسما: الشباب في مصر لا ينامون أبدا .. أحمد .. ثم جئت إلى هنا وحدك

أحمد : نعم فالجهاد خير من أن أنتظره

الأمير : حسناً فك قيوده

تقدم أحدهم لبضع خطوات وفك قيود أحمد

أحمد : بارك الله فيك

وضع الأمير يده على كتف أحمد وقال في دهاء: أتحفظ شـــيئا من القُران يا أحمد؟

أحمد : نعم

الأمير : ما كانت دراستك في مصر؟

أحمد: كنت أدرس التجارة لكني رفضت أن أعمل في بلد شبه إسلامي وجلست في المنزل أفكر ماذا على أن أفعل تجاه ديني

هل أجلس ... أم أسافر باحثا عن الجهاد

فالمؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف

الأمير : بارك الله فيك ... أكمل

أحمد : فكرت أولا في ذهابي إلى أفغانستان لكني لم أجد من يساعدني

حتى ظهرت الحرب في العراق

فعزمت على السفر إلى سوريا ... بعدما أقنعت صديقي بذلك لأنه لا يمكن السفر إلى العراق مباشرة

الأمير : أتستطيع حمل السلاح ؟

أحمد : نعم .. كنت أتدرب عليه في الجيش

الأمير : إذا دعني أرك

لم يكن أحمد حمل السلاح يوما ... لكن عندما وضعه بين يديه شعر وأنه أصبح

رجلا ضخما وجميع من حوله ما هم إلا حشـــرات يســـتطيع الدهس عليهم بحذائه

خرج أحمد بصحبه الأمير إلى الخارج ليجد نفسه في صحراء

مجموعة من الخيم

ومجموعة من المسلحين الذين يقومون بتأمين المكان

وساحة للتدريب العســـكري .. ومنزل مبني من الطوب له باب مغلق يحرسه أحدهم

فهم أنه يكاد يكون مخزنا للسلاح

كما يوجد بعض السيارات التي توجد في خلفها مدفع

كانت قد استخدمت في عمليه المطار الأخيرة.

وقف أحمد وســـحب أجزاء الســـلاح .. وضرب طلقـــة لكنه لم يصب الهدف

أطلق الثانية... لكنه أيضا لم يصيه

فقال الأمير في ابتسامة تحمل بعض الدهاء : من الواضح أنك تكذب

حينها صوب أحمد بدقة فأصاب الهدف

فقال : أنا لم أكذب !

تبسم الأمير وقال : من الواضح أنك متعب

يا أبا سليم .. يا أبا سليم

جاء رجل مفتول العضلات ..ذو وجه عابث

يحمل سلاحا خلف ظهره

وقف أمام الأمير .. في احترام شديد

وقال : سمعاً وطاعة يا أبا اسلم

فقال الأمير أبا أسلم : خذ أحمد إلى تلك الخيمة .. وأحسن معاملته

فهو من اليوم مسئول عن جميع الشئون المالية

في دولتنا

ثم تقدم الأمير بضع خطوات وهمس في أذن أحمد:

الآن يجب عليك أن تستريح ففي الصباح لدينا أعمال كثيرة

تقـــدم أحمد أمام الحارس .. ودخل خيمتـــه .. فقال الحارس : هذه ســـتكون خيمتك الخاصة كل شـــيء تحتاجه ستجده فيها إن شاء الله

إذا أردت شـــيئا آخر قل فقط : يا أبا ســـليم ستجدني إن شاء الله بين يديك

أومأ أحمد برأسه ... وخرج الحارس

خيمة يتوسطها فراش يوضع عليه جلد الماعز مرصع بفراش ذهبي

ويوضـــع أمامه طاولة تم وضع عليها صينية من الأرز واللحم الطازج تحية للأمير الجديد

وصحن للفواكه وزجاجة مياه والمصحف الشريف ومسبح أسود اللون

جلس أحمد يفكر فيما حدث

ماذا حدث لكِ يا هنادي

وماذا عن عائلته؟

كان من المفترض أن يتصل بهم لكي يخبرهم عن سلامته

أين هاتفه ..وأين حقيبته؟

كل أوراقه ضاعت

لقد أصبح شخصا بلا هوية

ماذا عليك أن تفعل يا أحمد؟

لقد ارتميت بين أحضان الدبابير

***

دخل الأمير .. أبا أســـلم على رجـــل في العقد الخامس من عمره .. تقدم في احترام شـــديد .. ألقى تحية الإسلام

فرد عليه الرجل بتحية مثلها ... بعدما أغلق المصحف.. وصدق

رجل ذو لحية بيضاء.. ورداء أبيض مثل الملائكة

يدعي « أبا على الأنباري » نائب الخليفة في الشام

أبا على في هدوء تام : ماذا فعلت يا أبا أسلم؟

أبو أسلم : ومازال واقفا في مكانه .. من الواضح يا سيدي أنه يكذب.. وأنه لم يأت للجهاد مثلما ادعى

أبو على مبتســـما : نعم هاتفه المحمول ..حقيبته..وجواز سفره .. كل شـــيء عنه يدل على أنه قادم للزواج من هنا

أبو اسلم : نعم يا سيدي قال أيضا إنه يستطيع حمل السلاح

ولكنه أخطأ الهدف

أبو على : ولما لم تقتله بعد؟

أبو أســـلم : في الحقيقة يا ســـيدي .. علمت أنه كان يدرس التجارة ونحن نحتاج إلى شـــاب مثله نجعل أحـــد إخواننا يعمل معه حتى يتعلم منه ثم نقتله

أبو على : حسناً أحسن معاملته واجعل الجميع يطيعه

ولكن اجعل أبا سليم حارسه الشخصي

لا يفارقه ابدا .. فأنا لا آمن مكر المصريين

أبو اسلم : حسنا يا سيدي وماذا سنفعل بالنساء ؟

أبو على : دعنا نقوم بتقسيمهن علينا غدا ولكن سأختار أنا أجملهم

ضحك أبو أسلم وقال : دائما يكون للأسد النصيب الأكبر يا سيدي

أبو على : كم وصل عدد إخواننا ؟

أبا اســـلم :خمسون ألف مقاتل يا سيدي وبعد غدا ان شاء الله سنقوم بالمهمة الكبرى

أبو على : حفظكم الله .. والآن دعني أسترح

أبا أسلم : السلام عليكم

خرج أبو أسلم من خيمة الشيخ العتيق .. وبدأ في دورية على الإخوة

حتى اطمأن أن كلا في مكانه

وعيونهم ساهرة

فليحفظكم الله جميعا

قالها : وذهب إلى خيمته

أما عن أحمد فكان نائما نوم أهل الكهف وبدأ الليل في الزوال

***

التلفزيون المصري ... بدأ في سرد أحداث المطار الذي انفجر أمس

مئـــات من الضحايا ومئات من الأســـرى من نســـاء و فتيات واطفال وشيوخ

وعائله أحمد أصابهم اليأس

أمه جلست تبكي حتى انهارت تماما

والأب كان شامخاً.. لم يبك ولم يضعف

أخبرتهـــم بعض الجهات الأمنية انه من المؤكـــد ان أحمد على قيد الحياة طالما لم تخبرهم الســـلطات السورية بذلك

لكن إذا لم يكن قد مات .. إلى أين ذهب؟

هل نجا من الانفجار ... أم وصل قبل موعده

إذا كان على قيد الحياة فلماذا لم يتصل حتى الآن

جلال : سوف أقوم بالاتصال بابن عمي

المقدم كريم أبو الحسن « إحدى الجهات السيادية »

جلال : سلام عليكم

كريم : عليكم السلام .. أهلا بك يا جلال

جلال : أريد مقابلتك في أمر غاية في الأهمية

كريم: اليوم في السابعة مساءً سوف أنتظرك في مكان عملي

جلال : حسناً

اثنتي عشـــرة ســـاعة على موعد كريم أبو الحســـن .. سوف يمرون وكأنهم اثنتي عشـــرة سنة

والد أحمد : ماذا فعلت يا جلال؟

جلال : سوف أذهب إلى مقابلته اليوم

والد أحمد : إذًا سوف أذهب معك

جلال : حســـنا ولكن دعنا نذهب إلى السفارة الســـورية أو الخارجية المصريـــة لابد أن أجهزة الأمن لديها أيـــة معلومات جديدة

***

استيقظ من نومه ... عندما هاجمت أشعة الشمس عيونه

وجد ثوبه الجديد أحدهم قد قام بوضعه بعناية تامة على أريكته

وقف وتجول في الخيمة ثم ألقى نظرة إلى الخارج

كان خائف إلى حد كبير ... أشـــعة الشـــمس لم تسمح له بالنظر فالمشهد كان باهتا

عاد إلى فراشه وجلس يفكر ... قطع تفكيره الحارس القادم لمساعدته في ارتداء ملابسه

حاملا معه وعاء به ماء لكي يقوم أحمد بالاغتسال .. والوضوء

خرج من خيمته .. كان الرجال يتدربون تدريبات قتالية

ظل يمشي حتى وقف بجانب أبا اسلم لم ينطق بكلمه واحدة كان في حالة ذهول

أبا أسلم : عليك السلام ... ما رأيك يا شيخ الأحمدي

أحمد نظر إليه في اندهاش شديد

وضع أبو أسلم يده على كتف أحمد وقال في ابتسامة : من اليوم اسمك هو الشيخ الأحمدي وستكون مسئولا عن الشئون المالية في أرجاء الدولة هذه ستكون خيمة عملك ... سوف أعطيك راتبا كبيرا لن يتخيله احد في تلك البلاد الكافرة ولكن دعنا أولا نقسم الغنائم ... على الرغم من عدم مشاركتك معنا في معركة المطار ولكن سوف يكون لك نصيب .

أشار أبو أسلم إلى أحدهم ... الذي أمر الجنود بالوقوف صفين ووجوههم في وجوه بعض بينهم مساحة صغيرة تكفي لأن يمر أحدهم.

خرجت السبايا في لباسهن الأسود مغطى وجوههن وأيديهن

في طابور واحد وراء بعضهن البعض

نظر أحمد إلى وجوههن لكنه لم يتسطع أن يرى أحدا منهن

دعا أحمد ربه ألا تكون هنادي معهن

تم إرسال صوت : خرج على إثره الشيخ العتيق من خيمته

يتكئ على عصا أثرية .. يدها مصنوعة من الذهب الخالص

يقـــال إنها تعود إلى أحـــد المتاحف التي قد نهبـــت على يد رجاله في العـــراق تقدم بضع خطوات حتى وقف أمام النســـاء

أكثر من أربعين من النساء والأطفال

نصيبه منهن العشر أي أربعة نساء فقط

كان يكشف وجوههن كوحش مفترس لا يبالي من الله

اختار ثلاث نساء حسناوات كجمال حواء وجاء الدور على الأخيرة

فتاه في عمرها السادس عشر جسمها نحيف وعيونها تبكي كسيل جاء من أعلى جبل كانت ترتجف من الخوف لا تعلم ما الذي ســـوف يحدث لها تحسس الشـــيخ العتيق بيده المجعدة على جسمها وكأنه يبحث عن شـــيء ما حتى وقفت يداه على بطنها فأشار إلى حارسه وقال : هذه أيضا لي طبـــول قلب أحمد أعلنت عن بدئها والدم يجري في عروقه كطوفان نوح حتى كاد يهجم عليه .

أشار إليه أبو أسلم وقال له « حكم عقلك حتى لا تكون في عداد الموتى اليوم»

أتعجبك؟

لم يرد أحمد على سؤاله

فابتســـم أبو أسلم وقال : ستكون لك ولكن ليس الآن فالشيخ العتيق ماهر في مضاجعة النساء

ثم ذهب لكي يختار نصيبه، ثم من بعده ،ثم من بعده

حتى تبقى اثنتي عشرة من النساء

في وسط صفين الرجال انقضوا عليهن كالذئاب وهن مكبلات الأيدي والأقدام

وكل منهم أخذ من تحلو له

وذهب إلى فراشه

في مشهد تقشعر له الأبدان

في القرن الحادي والعشرين

في ظل كل هؤلاء الذين يدعون الدين والتعفف

تحت راية سوداء مكتوب عليها اسم الله ورسوله

وبرغم كل منظمات حقوق الإنسان

ومنظمات المرأة

وجيوش تهتز الأرض من تحت أقدامها

وفي وسط كل الرجال المبعوثين من الأمم

لقد اغتصب عدد من النساء لا بأس به

على أرض شاسعة مسلمة عربية

وتحت شمس ساطعة متوهجة

وعلى مرمى ومسمع من قاده العالم

وقف أحمد في ذهول لكنه حمد الله على عدم وجود هنادي

ياالله .. جيوش عربية تقهقرت إلى ثكناتها وتركوا أوطانهم في مهب الريح

أين أنت يا هنادي؟

فليحفظك الله أينما كنتِ

***

استطاعت أن تهرب من الانفجار وذهبت على قدميها في مكان غير معلوم

كان هنا منزلنا ... نعم هنا كان منزلنا ... وكانت هذه حارتنا

اين ابي ؟ واين امي .. اين الجيران ؟

لا احد هنا

فقط دمية ملقاة على الأرض علمت منها ان منزلها كان هنا

جاءت سيارة دفع رباعي تابعه للجيش السوري

هنادي للضابط : ما الذي حدث؟

لا أحد يجيب .. فقط وضعوا في يديها أسورة وحملوها إلى السيارة

الضابط : لقد قصف أهل المدينة بالكامل

هنادي: أين أبي وأين أمي؟

الضابط : نجى بعض السكان وتم وضعهم في المستشفى العام دعينا نذهب إلى هناك لعلك تجدين أهلك

كل شيء هنا قد دمر

حتى ذكرياتها حتى أبويها لم ينج أحد منهم

لقد قتلوا بالفعل

أمها ماتت وهي في المنزل من إثر القصف العنيف

وابوها مات فور وصوله المستشفي من الواضح انه كان يمر من الشارع أثناء القصف

جلست هنادي تفكر في مشهد أبيها وأمها وعن شعورهم أثناء القصف

بدأت في تخيل المشهد كأنها كانت موجودة بالفعل

أمي كانت تجلس في غرفة الصالون كعادتها تشـــرب فنجال القهوة وتقرأ الجريدة

وأبي .. أبي كان يسير في الشارع بنشاط

يرتدي بدلته الأنيقة ويضع سجائره في جيب قميصه الأمامي

ويقوم بإلقاء السلام على الجيران

كان الجميع يحبونه لم يشك أحد منه في يوم

يألله لم يبق لي أحد في هذه الدنيا

حتى أحمد الذي أحببته من كل قلبي

من الواضح إنه مات هو الآخر

وقفت هنادي على باب حجرة المصابين في المستشفى العام

حتى سقطت مغشية عليها

***

لا احد يعلم عنه شيئا حتى الآن .. لم يذكر اسمه في أي دفتر الخارجية المصرية ليس لديها أية معلومات

وحتى السفارة السورية

حتى جاء موعد كريم أبوالحسن

جـــلال يتقدم خطوة للأمـــام .. ووالد أحمد خلفـــه وقد ظهر عليه الإرهاق عســـكري يقف على البـــاب في زيه الميري

جلال : أريد مقابلة المقدم كريم أبو الحسن من فضلك

العسكري : من أنت؟

جلال : انا جلال أبو الحسن ابن عمه .. يوجد موعد معنا الآن

العسكري: حسنا انتظر بضع لحظات

دخل العســـكري على الضابط ذي التاسعة والثلاثين من عمره يوجد على أكتافه نسر شـــامخ ونجمة عسكرية ويرتدي بدلته الميري ويجلس في عزة وعظمة

العســـكري بعدما ألقى التحية العسكرية .. يوجد شخص في الخارج يا سيدي يدعى جلال أبا الحسن

كريم وقف من مقعده : ائذن له بالدخول فورا

سمع جلال صـــوت كريم ولم ينتظر العســـكري وعلى الفور اقتحم الغرفة

كريم : كيف حالك يا جلال؟

جلال : الحمد لله يا كريم : أعرفك الأستاذ سليم مختار والد زوجتي

كريم : أهلا وسهلا غني عن التعريف سأطلب لكم قهوة حتى تعيدوا نشاطكم

بدأ جلال في سرد حكاية أحمد منذ أن أحب هنادي وحتى أن سافر

وكريم ينصت إليه وكأنه يعلم كل شيء

كريم ابتسم لكي يهدئ من روعهم وقال : برغم وضع الدولة الملتهب إلا أننا يا أستاذ سليم لن نترك ولدك أبدا

بالفعـــل جاءتنا معلومات عن وجود شـــاب مصـــري على آخر طائرة وصلت مطار اللاذقية

المطار الذي حدثت فيه العملية الإرهابية

أذا كان في يد الجيش الســـوري وأتمنى من الله ذلك سوف يأتي غدا بمشيئة الله

وأما إذا كان في يد الإرهابين سنقوم بكامل جهدنا حتى يأتي الينا

أما إذا كان قد .... وقف كريم عن تكملة حديثه وقال : على كل حال أقسم لكم أنني سوف أعيده إلى الديار مهما كلفني الأمر

***

فجر العملية الكبرى

الساعة الثالثة صباحاً

جلس الشـــيخ العتيق بملابســـه البيضاء وحوله مجموعه من رجاله يتوســـطهم أبو أسلم، يقص عليهم ما تيســـر من معلومات عن العملية

وضع خريطة على الطاولة ..من الواضح أنها قد رسمت بعناية فائقة

وقال «هذه هي ولاية دير الزور»

مساحتها ٣٣ ألف كيلو متر مربع

يوجد بها حوالى مليون من السكان

يسيطر عليها ... رجال من الجيش السوري الكافر

الشيخ أبو أســـلم قائد المجموعة الأولى موقع تمركزكم سيكون في مدينة الميادين ســـنحررها ثم نقوم بتقسيم أنفسنا إلى مجموعتين

الأولى ستكمل بعمق في الولاية، والأخرى ستبقى في موقعها

الفرقة الثانية ستكون تحت قيادة الشيخ أبي حمزة موقع تمركزكم ســـيكون في مدينة البوكمال سنحررها ثم ســـنقوم بتقسيم أنفسنا إلى مجموعتين

الأولى ستلحق بفرقة أبي أسلم، والأخرى ستبقى في موقعها

يوجد متحف ومطار وحقول للنفط سنسيطر عليها وسنمدكم بفرقة ثالثة

ستتمركز في مدينة البصيرة، لن تتحرك من موقعها إلا إذا إحدى الفرق طلبت دعما

١٠ آلاف من المقاتلين سيتوجهون إلى محافظة دير الزور

أكبر محافظات دولة سوريا

لتنفيذ أكبر عملية إرهابية في تاريخ العرب

سيدمرون مناطق كانت يوما من أهم المناطق الأثرية الشاهدة على التاريخ

ومتحف أثري يحمل في وجدانه أكثر من ٢٥ ألف قطعة أثرية تعود إلى حقبة التاريخ الروماني واليوناني

وحقول للغاز والنفط سوف تباع إلى دول باعت قضيتها ووضعت يدها في يد الإرهاب

مليون شخص ويزيدون قليلا سوف تدمر بيوتهم وحياتهم سيقتل من يقتل ويهرب من يهرب

والنساء والأطفال .. هم الجائزة الكبرى التي تسعى إليها داعش في كل حرب سوف يتم بيعهم في سوق الرقيق والعبيد

٥٠ ألف مقاتل من كل حدب ولون يدعون الدين ويحاربون تحت راية سوداء تشبه قلوبهم

يكتب عليها اسم الله ورسوله

عرض الشيخ العتيق خطته وكل منهم على مكانه

حتى أذن الفجر

ينزل الله من السماء العليا لكي ينظر في قلوب الناس

يروي الظمأن .. ويطعم الجائع ويوزع الأقدار والأرزاق ويطمئن قلوب دمرتها الحروب من اناس كل عملهم هو سفك الدماء

تقدم أحدهم .. كإمام يصلي صلاة الفجر

كان أحمد يقف خلفهـــم، ولولا أنه لا يوجد لديه حيلة لكان قتلهم جميعا

لكن الله كان في عونه

سمع قول إمامهم يقول

«فدعا ربه أني مغلوب فانتصر»

ياالله إن النصر من عندك أنت وحدك فانصرني وانصر وطني

وضـــع جبينه في حبات الرمل هنا كان يحارب المصريون والســـوريون يوما الجيش العربي بأكمله

هنا رمال رويت بدماء العرب على مر العصور وأزمنة التاريخ

هنا هدم الباطل من قبل وسيهدم بإذن الله

سلم الإمام وذهب كل منهم إلى طريقه

لبدء العمليه الكبرى «عمليه دير الزور»

***

تم اقتحـــام المدينة ليلا تحت أشـــعة القمر، التي اســـتطاعت أن تنير الأرض

لكنها عاجزة على إنارة قلوبهم

سوريا لم تعد آمنة

الجيش الأول يتقهقر من بعض المدن، اجتياحات عدوانية

تدخلات خارجية

ســـوريا الحبيبة « أصبحـــت كعكة والجميع يريـــد أن ينال النصيب الأكبر »

يالك من أحمق كبير

كيف تؤمن بأن للإنسان وحده قدر

للأوطان أيضا قدر

كل شيء له قدر يا أحمد

حتى أنت «أنت أيضا لك قدر»

وقدرك أن تأتي إلى هنا إلى هذا المكان لكي تجلس في تلك المكانة

في وسط رجال يشبهون تماما رجال الجاهلية الأولى

لكن ليسوا مثلهم

فرجال الجاهلية الأولى لم يقتلوا صغيرا ولم ينهكوا حرمات البيوت لم يغتصبوا النساء يا أحمد

عاد رجل إلى المعسكر الأساسي يخبر الشيخ العتيق أن الإخوة استطاعوا أن يسيطروا على ولاية دير الزور لقد أصبحت ولايه تابعه لنا

عدا عاصمتها لقد كان على أبوابها رجال أشداء بقيادة أحد لواءات الجيش السوري فلم تستطع داعش اقتحامها

***

استطاعت أن تفيق من شرودها وتستوعب ما حدث . ألح عليها أحد ضباط الجيش في النزوح إلى تركيا أو لبنان لكنها رفضت

قال في فخر : أبي وأمي ماتا هنا وسأموت أنا أيضا هنا

عملت في المشفى تسعف الجرحي وتطمئن قلوب الشهداء بأن مصيرهم سيكون الجنه إن شاء الله

حتى لمحتها سيدة كبيرة في العمر

السيدة في مرض شديد ولسان ثقيل : يا ابنتي

التفتت هنادي لها وقالت : اسمي هنادي يا خالتي

السيده اسمك جميل يا هنادي اقتربي مني أكثر أريد أن أتحسس وجهك

فأنت بالتأكيد تشبهين ابنتي

اقتربت هنادي في شيء من الإنسانية

وين ابنتك الآن يا خالتي

السيدة : لقد اختطفت يا ابنتي

اقتحم منزلنا مجموعة من الملثمين ..كنت أظنهم رجالا .. لكنهم حقا أشباه رجال

صرخـــت بصوتي وقلت لهم : لا يوجد رجال في المنزل لعل وعســـى أن يخرجوا من منزلنا

لكنهم لم يسمعوا حديثي اقتحموا الغرفة على ابنتي وقاموا بتجريدها من ملابسها قيودها بالحديد مثل أسرى الحروب

وقامـــوا بأخذها معهم ولم أدر من الـــذي جاء بي إلى هنا، أتعلمين ما اسمها ؟

هنادي : ما اسمها يا خالتي

السيده : اسمها زهرة كانت أشبه بالزهرة لكن

هنادي : ادع الله يا خالتي أن تعود إليك سالمة يجب أن تأخذي قسطا من الراحة الآن فكثرة الحديث سوف يتعبك أكثر

وقفـــت هنادي بجانبها حتى سمعت صوت صـــراخ في الخارج هرولت هنادي إلى الخارج لتجد مجموعة كبيرة من المصابين من رجال الجيش وأيضا مدنين شـــيوخ ورجال ونساء منهم من فقد روحه، ومنهم من فقد أطرافه، ومنهم أيضا من فقد عائلته

هنادي : ماذا حدث؟

الدكتور: لقد اقتحم الإرهابيون منطقة دير الزور

***

ســـيارة كبيرة قد تم ســـرقتها .. وقفت في منتصف المعســـكر وبدأ الرجال في العمل كانت مليئة بالقطع الأثرية .. التي ســـوف يتم بيعها بعد ساعات من الآن

الشـــيخ العتيق يجلس وبجانبه أحمد يسجل القطع الأثرية ويضعون أرقاما لها خمســـة وعشرون ألف قطعة ويزيدون قليلا قد تم سرقتهم من المتحف الأثري الذي يقع في منطقه دير الزور

الشيخ العتيق : أهذا كل ما لديكم؟

الرجل : نعم يا سيدي

الشيخ العتيق : كيف حال رجالنا في الشرق؟

الرجل : جميعهم بخير ويدعون الله أن يثبت أقدامهم يا سيدي

الشيخ العتيق : إذًا ارحل أنت الآن وأبلغ تحياتي ودعواتي إلى الإخوان

عاد الشـــيخ أبو أسلم مع الرجل بعدما ســـلم القيادة إلى أحد رجاله المقربين يدعى «أبوســـياف» أكبر قادة داعش التفت الشـــيخ العتيق إلى أحمـــد وقال له كم يبلغ عدد القطع الأثرية يا شـــيخ

أحمد : ٢٥٣٠٠ قطعة يا سيدي

الشيخ العتيق : من الواضح أننا سوف نجني مالا وفيرا من هذه البلاد يا شيخ أبا أسلم لماذا لم يبدأ الشيخ الأحمدي عمله؟

أبو أسلم : سيبدأ بعد أن نجهز له غرفته يا سيدي

فهو يحتاج إلى أجهزة حاسوب حتى يكون العمل على ما يرام

الشيخ العتيق : وأين هي أجهزة الحاسوب إذا؟

أبو أسلم : ستأتي حالا يا مولاي .. لم يكمل حديثه حتى جاءت سيارة محملة ببعض أجهزة الحاســـوب .. وقفت السيارة عند خيمة العمل وبدأ الرجال في نقلها

الشيخ العتيق : من أين جئت بهم؟

أبو أسلم : إحدى الشركات في طريقنا يا سيدي

ضحك الشيخ العتيق وقال : انت داهية يا أبا أسلم

اذهب يا شيخ احمدي وابدأ في عملك

أومأ أحمد برأســـه وانصرف من جانب الشيخ العتيق ودخل إلى خيمة عمله مكتب كبير بجانبه خزنة كبيرة للأموال وبعض أجهزة الحاسوب

الشيخ أبو أسلم : السلام عليكم يا شيخ

أحمد : عليكم السلام يا شيخ

الشيخ أبو أسلم : هذا هو موقعك من الجهاد يا شيخ

فلكل منا موقعه

ستكون مسئولا عن بيت المال وهذا لم يأت من فراغ فأنا التمست فيك الامانه ولذلك وضعتك في هذا المكان

أحمد : أشكرك كان الله في عوننا

قالها أحمد وفي قلبه قهر شديد

فهو لم يستطع أن يفعل شيئا سوى أن يقبل بالأمر الواقع أو أن يموت برصاص داعش

***

كان الوضع ملتهبا على المستوى الإعلامي

التلفاز يعلن عن تقهقر الجيش السوري أمام داعش

أنباء وتقارير عن تدريب داعش داخل دول عربية وأخرى أجنبية

وزاد الأمر بتمويلهم أيضاً

تدخل قطري سعودي لضرب بشار في مقتل

وتدخل إيراني روسي لدعم بشار

أنباء عن قصف مـــدن بأعينها من قبل الأمم المتحدة .. لكن لم تبلغ عن إصابة لجندي واحد من تنظيم داعش

حتى انكشفت جميع الأوراق

طائرة خاصة .. تهبط في وسط المعسكر الداعشي .. تحمل علم دولة عربية

كانت تحمل أحد الرجال ذوي المستوي الرفيع

يرتدي ملابس الفخامة والسمو

دخل إلى خيمة الشيخ العتيق قبَّل يده

وانحنـــى أمامه .. أنزل مجموعة من الأســـلحة المضـــادة للطائرات والدبابات

وحقيبة بها الملايين من الأموال

حتى دخل عليهم أحمد

الشيخ العتيق قدم أحمد على أنه مسئول بيت المال

وقدم الرجل على أنه أحد الحلفاء

أخذ أحمد حقيبة الأموال ووضعها في خزينة الدولة

الآن أصبح لدى التنظيم كل شيء ،أموال وسلاح ورجال

وجاء موعد وضع قواعد الدولة أو دســـتور خاص بها وتم فتح أبواب العمل

وفتح أسواق

كل شيء سوف يأتي في موعده

استقل الرجل الطائرة عائدًا إلى بلده

كما أعلن الشيخ العتيق عن موعد اجتماع طارئ اليوم

بعد صلاة العشاء مباشرة

***

جلس أحمد ... يتفقد أجهزة الحاسوب التي تمت سرقتها من إحدى الشركات في منطقة دير الزور

أوصل الأجهزة ثم تفقد أحد البرامج

فتح برنامج .. صنع خصيصا للحســـابات .. كان يستخدمه عندما كان يعمل مع جلال

بدأ ب « بسم الله الرحمن الرحيم »

ثم نادى على الحارس : يا أبا سليم يا أبا سليم

أبو سليم : تفضل يا شيخ

أحمد : أريد الشيخ أبا اسلم

أبو سليم : حسنا سأذهب إليه على الفور

كان يجلس الشيخ أبو اسلم مع الشيخ العتيق في خيمته

يناقشون موضوعات الاجتماع حتى يكون رأيهم واحدا

ومماثلا .. حتى لا تهتز صورتهم أمام رجالهم

استأذن أبا سليم : وألقى تحية الإسلام

وقال يا أمير إن الشيخ الأحمدي يريدك في خيمته

غضب الشيخ أبو اسلم فكيف يجروء على طلبه

لكن الشيخ العتيق هدأ من روعه وأخبره في ابتسامته : دعنا نأخذ منه ما نريد ثم نذبحه كالبعير

ضحك الشيخ أبو اسلم : وقال حسنا يا مولاي

دخل الشيخ أبو اسلم على الأمير الجديد وقال له : السلام عليكم يا أمير

لأول مرة يقول له يا أمير بدلا من شيخ

فرد أحمد التحية وقال عليك السلام : أريد منك أن تشرح لي طبيعة العمل في حقول النفط في دير الزور

وهل تباع أم تنقل إلى مكان آخر

ضحك الشيخ أبو اسلم وسبح الله ثلاث مرات

وقال : سأقص عليك كل شيء بالتفصيل

نصف العمل يذهب إلى إخواننا في تركيا مقابل السلاح

أحمد مندهشا : والنصف الآخر

أبا أســـلم : النصف الآخر يذهب إلى إخواننـــا في قطر ومن قطر إلى إسرائيل

في سبيل الأموال

أحمد : أيذهب إلى إسرائيل أليسوا أعداءنا يا شيخ

ضحك الشيخ أبو اســـلم ثانية وقال : إن الضرورات تبيح المحظورات يا شيخ

أحمد حسنا : لماذا لم يتم الضخ إلى إسرائيل مباشرة

الشـــيخ أبو أسلم : استخدم سواكه ورد في دبلوماسية ممزوجة بشيء من العسكرية

إن الطريـــق إلى هضبـــة الجولان أصبح صعبا ولا يســـتطيع الجيش الإسرائيلي إرســـال طائرات إلينا مثل قطر

فلو عبرت طائرة إسرائيلية واحدة في مجال الجوي السوري ستسقطها الصواريخ عنوة

أما الطائرات القطرية تدخل بحجة إرسال إمدادات إلى المدنيين

تنزل بجانب الحقول : تحمل احتياجاتها ثم ترحل

أحمد : الآن فهمت ... وكم سعر البرميل؟

الشيخ أبو أسلم : كل شيخ وله طريقة وكل دولة ولها سعر

أنا سوف آتي لك بالأموال وسوف أضع فوقها ورقة تفصل لك كيف تمت البيعة

والآن أريدك أن تأخذ قســـطا من الراحـــة حتى تحضر معنا اجتماع اليوم

أحمد : حسنا سأذهب إلى خيمتي

جلس الشـــيخ ذو اللحيـــة الكثيفة ونظر إلى الأمـــوال التي توجد في الخزانة

وقال في ابتسامته : ستكونين لي في يوم من الأيام عندما أحكم العالم وأكون خليفة المسلمين

***

مبنى المخابرات العامة المصرية

الساعه السابعة مساءً

غرفه العمليات

مجموعة من القادة ذوي الرتب العليا

يجلسون مع بعضهم البعض على طاولة مستطيلة

يبحثون قضية الشاب الذي فقد في سوريا

اللواء عاصم عبد الحي : يشـــرح طبيعـــة المهمة وكيفية البحث عن ذلك الشاب المفقود

رد أحد القادة وقال : ماذا لو كان في عتاد المتوفين؟

اللواء : سنعلم و نطمئن قلوبنا ونطمئن قلوب عائلته

أمـــا إذا كان في قبضـــة داعش يجب أن نصـــل إلى حل معهم يرضي جميع الأطراف

المقدم كريم أبو الحسن : سنضع أيدينا في أيديهم

اللواء : أعلم أنه ليس من الممكن أو المفترض أن نضع أيدينا في أيديهم

لكن الوضع يحتم علينا ذلك

وخصوصا في ظل حكم رئيس ذي لحية

فهذا سوف يكون في صالحنا قليلا

ماذا عن الجانب السوري ؟

المقدم كريم أبو الحسن : الجانب السوري أفاد أنه لن يعثر على جثة أحمد أو أي شيء يتعلق به

وأفاد أيضا أنه هنادي تعمل في مستشفي عام تابعه لمنطقة حمص

وأنها لم تقابل أحمد سوى في المطار

وبعدها حدثت العملية الإرهابية

اللواء : حسنا .. دعونا ننتظر حتى تأتي معلومات جديدة

***

صلاة العشاء .. يترك الناس جميعًا حياتهم وأشغالهم لكي يؤدوا آخر صلاة في يومهم هذا

انتهت الصلاة اجتمع القادة والأمراء في خيمة الشيخ العتيق

بدأ الشـــيخ العتيق ذو اللسان الفصيح حديثه بالفاتحة والصلاة على رسولنا الكريم

ثم قال : ســـنبدأ بإذن الله تعالى أولى عملياتنا في منطقه خان العسل التابعة للجيش الكافر

منطقة خان العســـل تقع في ولاية حلب سنقوم بتحريرها إن شاء الله تعالى طالبين من الله أن ينصرنا الشـــيخ « أبو المعز» هو قائد العملية

لا أريد أحدا منهم حيا يا شيخ.

وقف الشـــيخ أبو المعـــز يكبر ويعانق أصحابه ويقـــول : نحن لها ورب ا لكعبة

ثم سأل الشيخ وقال : متي موعد العملية

الشـــيخ العتيق : بعد ســـاعتين من الآن ســـيكون معك خمسة آلاف مقا تل

أبو المعز : ستحارب معنا ملائكه أيضا

ستكون غزوة بإذن الله تعالى

ابتسم الشيخ العتيق الذي استطاع أن يسيطر على كل هؤلاء الرجال

قرابة ٥٠ ألف مقاتل أصبحوا في قبضة يده يحركهم متى شاء

والآن دعونا نعرض الخطة وضع الشيخ العتيق خارطة مرسومة بعناية مثل تلك التي كانت مرسومة لدير الزور

اندهش أحمد لما يراه كل يوم من الذي يأتيكم بمثل هذه الخرائط؟

لقد راح ضحية هذه العملية قرابة ما لا يقل عن مائة وخمسين جنديا من الجيش السوري

لقد استسلم قرابة ٥٠ جنديا آخرون

لقد استسلمت الجدران والمنازل والشوارع

استسلم الحق في وجه الباطل

لقد كانت ســـاحة إعدام توجد فيه عشـــرات الجثث المجمعة مقابل إحدى الجدران

التي عليها آثار للأعيرة النارية

حتى الصوره التي خلقنا الله عليها لم تسلم من أيديهم

لقد شوهوا الجثث أيضا ولم يكتفوا بذلك أيضا

لقد نشرت مقاطع بث مباشر وصور عن عملية إعدام ٥٠ جنديا

الذين تم أسرهم في تلك المعركة

جردوهم من كل شـــيء ووضعوهم مقابل الجدار ثم بدأوا في ضرب النار عليهم

لقـــد طفح الكيل منكم ومن قاده العـــرب، إنهم يريدون بث الرعب في نفوسنا قبل نفوس الآخرين.

ماذا بك يا أحمد ... اتريد العودة إلى ديارك، سأل نفسه وهو يجلس على فراشه، ويسمع أصواتهم يكبرون في الخارج

فقال في حده لنفســـه : لا ورب الكعبة لن أعـــود إلى الديار إلا ومعي هنادي

***

كانت الساعه تعلن عن الثالثة صباحا

في مثل ذلك الوقت كانت تودع أمها

وترتمي في أحضان فراشها وتحكي معه

كان يساندها ويعزز قلبها بحبه لا تكل ولا تمل منه

يحكـــي لها عن أحلامه، وتحكي له عن آمالها، جميع عيون العالم تنام إلا عيون العشاق، جميع القلوب تهمد .... عدا قلوبهم

فطبولها تزداد ويعلو صوتها مع أنين صوت فيروز وهدوء الليل

إنها في أمس الحاجة إليه

تريد غن تســـمع صوته ولو للحظة واحدة لكن أين هو؟ .... لا تعلم، إنها تتذكر أول لقاء .. كان أيضاً آخر لقاء

عندما خرج من باب المطار وألقى بحقيبته على الأرض كانت تتمنى ولو أن تلمس يده ،تحتضنه « فإن حضن العاشقين كان دائما منصورا «

له ثوابه الخاص، وله ريحته الخاصه ولكن إنه القدر .. لا مفر منه

ياالله كون في عوني وثبت قدمي .. وانصرني

قالت هذه الكلمات حتى أعلنت صلاة الفجر فذهبت تؤدي مناســـك الصلاة .

***

في ساعات الصباح الأولى

استيقظ الشيخ أبو اسلم لكي يبدل رجال الحراسة برجال غيرهم

يوجد ٤ أبواب على كل بوابة رجلان تم تحديدهم

بالأســـلاك .. ووضع حجارة ضخمة ورجال يرتدون الزي العسكري، ويحملون في أيديهم أســـلحة، وتحميهم من الخلف ســـيارات دفع رباعي، بدل الرجال وذهب إلى خيمة أحمد، وجده جالســـا في خيمته يقرأ القرآن

ألقآ التحية ... صدق أحمد آيات القرآن ورد التحية

الشيخ أبو اسلم .. ألم تنم يا شيخ؟

أحمد : استيقظت منذ بضع دقائق توضيت وصليت لله ثم جلست أقرأ ما تيسر من سورة يوسف لقد كان يحبها الرسول صلى الله عليه وسلم

الشـــيخ أبو أسلم : جلس بجانب أحمد ... ومد يده لكي يأخذ كوب من الماء وقال في دهاء : وماذا تعلمت يا أمير من ســـوره يوسف

ابتســـم أحمد وقال : إن الله لا يضيع أجر المحسنين وأن النصر آت لا ريب فيه

ابتسم الشيخ أبو اسلم وقال : أنا سوري لست اجنبيا عن هذه البلاد

كنت ضابطا في الجيش حتى جاءتني معلومات عن الدولة الإسلامية

سلمت وجهي للذي فطر السموات والأرض وتطوعت

كانوا حوالى ثلاثة رجال ... كنت أنا رابعهم

والآن يا أمير اصبحنا ٥٠ ألف مقاتل

تقاتل في ســـبيل الله ... عندما رأيتك كنت أريد أن أقتلك ولكني شعرت فيك سمات ولدي أســـلم الذي استشهد من عدة شهور

لا أعلم ما الذي شدني إليك ،على الرغم من أنك مصري

ابتسم أحمد وقال : أتوجد أية مشكلة كوني مصريا

أبا اســـلم .. لا ورب محمد فأهلا بك بينا فنحن يوجد لدينا عناصر ليست عربية، ولكنهم جميعا مسلمون يكفي ذلك

ابتسم أحمد وقال : الحمد لله ... والآن

أبو أسلم : والآن اذهب لكي ابدأ التدريبات أتريد مشاركتي؟

أحمد: نعم

أبو أسلم : حسنا هيا بنا

***

في ساحة التدريب تعجب أحمد من المشاهد الذي يراها

ضابط كان يخدم في الجيش السوري

الآن أصبح ارهابيا ويقاتل جنود كانوا يوما يحمونه

ويقوم بتدريب مجموعة من المرتزقة الذين أتوا إلى سوريا

باحثين عن المال ... كانوا أغلبهم مسجونين في بلادهم

والبعض الآخر كانوا مجرمين ... اسلموا ليس في سبيل الإسلام

ولكن في سبيل الذي يأتي من خلف الإسلام

تدريبات على السلاح ... وفكه وتجميعه في غضون ثوان

ومجموعة أخرى ... شبيها بجنود الصاعقة

ورجل آخر يقوم بتدريب بعضهم على صناعة القنابل

واستخدام الأسلحة الثقيلة

حتى حدثت المفاجأة الكبرى

سماع أصوات أعيرة نارية قادمة من الخارج

ظن أحمد أن الجيش السوري جاء لكي يحرر الأرض من تحت أقدامهم

لكن لم يكن الجيش السوري

٥٠ مقاتلا يرتدون زي عسكري .. وملثمون

يحملون سلاح شبيه لسلاح الجيش الأمريكي

من الواضح على ملابسهم إنهم لم يسيروا في الأرض سوى بضع خطوات

نظرأحمد في السماء ليجد طائرة عسكرية قد ارتفعت عن الأرض أيقن أنهم جاءوا في هذه الطائرة عيونهم خضراء .. شبيها لعيون الغرب

مفتولين العضلات .. يحمل كل منهم زجاجة مياه على قدمه اليسرى

وسلاح شخصي على قدمه اليمنى

كما يوجد سلاح ار بي جي على ظهورهم

من الواضح إنهم جيش منظم

خرج الشيخ العتيق من خيمته، وكأنه كان يعلم موعد وصولهم

رحب بهم

وأخذهم إلى خيمته

كان يتقدمهم قائدهم ويمسح المكان بعيونه

يتميز عنهم بشريط أسود به بضع خطوط ذهبية على يده اليمنى

لابد أنهم تابعين إلى أحد الجيوش

أحمد : من يكونون هؤلاء يا شيخ

أبا اسلم : إنهم الملائكه .. قادمون لكي يحاربوا معنا

أحمد في دهاء : ومن الذي أتى بهم إلى هنا

أبو اسلم : لقد اتوا من السماء يا عزيزي ألم تر وجوههم الملائكية

أحمد ابتسم : وقال رأيت

أبو اسلم : والآن اذهب إلى عملك

أريد كشف دقيق جدًّا عن الأموال التي توجد في الخزانة

فاليوم هو أول الشهر

يجب أن ندفع رواتب الجنود ... حتى لا يشعرون بالمل أحمد : حسناً

أدار أحمد ظهره إلى الشـــيخ ابي أســـلم وكان يعلم أن الموت قادم لا محا لة

***

اصطفوا الرجال في صفوف خلف بعضهم البعض

وجلس الشيخ الأحمدي والشيخ أبو اسلم

يوزعون عليهم رواتبهم الشهرية

الواحد تلو الآخر حتى انتهوا

أحمد : حوالى ٣٥ ألف جندي في المعسكر يا شيخ أبا أسلم

أبا اسلم : كم تبقي لديك من المال

أحمد : المال وفير يا شيخ لا تقلق

الشيخ أبو اسلم : حسنا خذ راتبك

عشرة آلاف دولار أمريكي ... أليس كافيا

ابتسم أحمد وقال : كافي يا شيخ فهذا راتب لم أكن أحلم به في يوم من الأيام

أبو اسلم : والآن هل سجلت نقود القطع الأثرية التي تم بيعها

أحمد : نعم

الشيخ أبو اسلم : يجب أن أذهب بالأوراق إلى الشيخ أبي على

سأتركك الآن

أخذ الشـــيخ أبا أســـلم الأوراق وذهب بهم إلى الشـــيخ أبي على حتى يتفقد هم

ويرسلهم مع مبعوث إلى خليفة الدولة الإسلامية

الخليفة أبي بكر البغدادي

اسمه « إبراهيم عواد محمد إبراهيم على محمد»

ولد في ٢٨ يونيو عام ١٩٧١ في دولة العراق

أعلن أنه خليفة المســـلمين بعدما قام بإعلان الوحدة بين دولة العراق وجبهة نصرة أهل الشـــام في سوريا تحت مسمي تنظيم الدولة في العراق والشام

«داعش»

في البداية صدر تســـجيل للرد على هـــذا الإعلان من قبل أبو محمد الحواني وقد جاء بعـــدم تأييد هذا الإعلان

لكن في ٢٩ يونيو عام ٢٠١٤ أعلن التنظيم في العراق والشام قيام الدولة الاسلامية ونصب ابي بكر البغدادي خليفة للمسلمين

ولكن كيف لرجل درس الشريعة الاسلامية وحصل على بكالوريوس

في الدراسات القرآنية وبعدها على ماجستير على فعل ذلك

كانت رسالة أبو بكر البغدادي حول تلاوة القرآن الكريم وبعد ذلك حصل على شهاده الدكتوراه

كان إماما وخطيبا لأحد الجوامع في بغداد

لكن كيف يتحول الخطيب الذي يدعو إلى الدين عبر لسانه

بالدعوة عن طريق السلاح

لقد أصبح إرهابيا حقا وذلك بعد مقتل أسامة بن لادن هدد أبا بكر البغدادي بالانتقام العنيف

وفي يوم ٥ مايو أصبح أبا بكر البغدادي إرهابيا وذلك من بعد عملية مدينة الحلة لقد حمل على أكتافه مقتل ٢٤ عسكريا وإصابة ٧٢ آخرين

ومن هنا بدأت الرحلة

رحلة الدم .. رحلة الفسق والعبودية

رحلة الادعاء بما ليس في يقينهم

من هنا بدأت الحرب في بلادنا

من هنا ... اغتيل أنور السادات وأعدم صدام حسين

وانتهكت حرمات جسد معمر القذافي

من هنا اغتيل حسني الزعيم و رفيق الحريري وعبد الكريم قاسم و أيضاً محمد بو ضياف

من هنا أصبحنا أمه متهالكة اغتيل فيها قادات العرب

وعودنا مرة أخرى إلى عصور ما قبل الإنسانية

لكن ماذا سيحدث سيكتب التاريخ عنا صفحتين بالسواد

سيأتي إلينا كل المتعطشين للدماء ويصبح عددنا نص مليون مقاتل

سنكون امة تدعو للاحترام وبعد ذلك

يأتـــي أدباؤنا يكتبون روايات عظيمة عن المذابـــح التي قمنا بها والتي ســـوف نقوم بها في حق العرب

لن يستطيع أحد محاكمتنا طالما معنا القوة والقوة تكمن في السلاح

اتبع أبوبكر البغدادي سياسة محددة في إدارة شئون البلاد بعدما أعلن نفسه خليفة المسلمين

لقد حارب التنظيـــم كل من يخالف آراءه وتفســـيراته من المدنيين والعسكريين

ويصفهم بالردة والشرك والنفاق ويستحل دماءهم

قام أبوبكر بتعيين نائبين له أبومسلم التركماني للعراق

وأبو على الأنباري لسوريا

و١٢ حاكما محليا في كل من العراق وسوريا

كان من ضمنهم أبو اســـلم كما وضع له عده هيئات لكي تســـاعده في إدارة

شئون الدولة كان منها هيئة المالية وهيئة القيادة كما اتخذ التنظيم من وسائل الإعلام وشبكات الانترنت طريق لنشر سياسته الجهادية

بعدما أيقن أنها خير وسيلة له

كما تبنى التنظيـــم أيضا فكرة بيت المال حيـــث يعد تنظيم داعش الأغني في تاريخ الحـــركات الإرهابية

وتم تعيين أحمد او الشيخ الاحمدي مسئولا عنه في دولة سوريا

كانت سوريا على عكس العراق تماما

فالمال فيها وفير ... والخير أيضا وفير

***

في مكان لا يعلمه سوى القادة المقربين فقط

دخل الشيخ أبو اسلم في احترام شديد، ألقى التحية على الحارس

واستأذن لمقابلة خليفة المسلمين

الحارس ... ان الخليفة في المسجد

أبا اسلم : إذا سوف أذهب إليه هناك

كان المســـجد فارغا لا يوجد فيه ســـوى ابى بكر البغدادي ذى الرداء الأسود وعمامته السوداء

أبا اسلم : السلام عليك يا خليفة المسلمين

لا يوجد رد... خلع نعليه ودخل إلى باحة المسجد ليجده يصلي

حيا الخليفة ولم يحي المسجد

ألقى عليه السلام ... ولم يلقه على رسول الله

لم يتوضأ حتى!

جلس ينتظر خليفتهم يكمل صلاته

حتى انتهى .. سـلم الخليفة والتفت وبدأ في التسبيح، هرول الاخر وقبل يده

وقال السـلام عليك يا خليفة المسلمين ،جئت لكي أعرض عليك ما وصلنا إليه

ايوجد لديك وقت لكي تسمعني، أشار الاخر له .. بأن يكمل حديثه

أبا اسلم فصيح اللسان ... ذكي العقل

داهية كما يقول الكتاب، عمله في الجيش وسع مداركه، بدأ حديثه وعيونه تبكي نحن في بلاد يا خليفة المسلمين

شيمتها الكفر والفسوق

نعمل جاهدين على إعادة الإسلام فيها، نقاتل جيشهم الملعون

ندعو الله فيمدنا بملائكة من عنده

السلاح والذخيرة على أحسـن حال، والرجال مستيقظون أكثر من أي وقت مضى

أبا بكر خرج عن صمته وقال : أتريدون دعما بالرجال

أبا اسلم : لا يا سيدي لقد وصل عددنا ٥٠ ألف مقاتل ويزيدون

أبا بكر : لكن ماذا طلبك .. اسأل تعط؟

أبا اسلم : نريد من حضرتكم ان تزيد من فتاواك

لحث الجنود على القتال، فبك يا سـيدي تزيد شـجاعتهم ،ويزيد حسهم على القتال

فإذا ذكر اسمك عليهم ...زاد حماســـهم، وأصبحـــوا يقاتلون ولو كانوا مليون جندي

أبا بكر حسنا .. لك ما تريد

نهض أبو اســـلم من مكانه وقبَّل جبين الخليفـــة وتقهقر معلنا عن الرحيل

وقال في نفسه : لقد بدأت لعبه الأسود

***

اعتلى المنبر في أحد المساجد التي كتب عليها اسمه

ووجهه يقطر ماء

أشهر سيفه كالحجاج ابن يوسف وقال، اليوم أعلن الجهاد ... اليوم أعلنها على الملأ

اليوم .. اطلب من كل المســـلمين في جميع أنحاء البلاد أن يأتوا إلى سوريا والعراق لكي يقاتلوا جيش الكفر

ويصطفوا معنا معلنين عن دولة الخلافة الإسلامية

هلل الرجال الجالسون في المسجد

ولم يبالوا بأنهم داخل بيت الله

بعـــد هذا اليوم انضم إلى داعش العشـــرات من الرجال الذين تركوا بلادهم معلنين الجهاد في ســـبيل الله

***

جلس أحمد في خيمته .. ينفذ أعماله الموكلة اليه

لكن يوجد شيء معلق في ذهنه .. إنها هي هنادي

تراوده دائما في أحلامه .. بعدما رأى مصير كل النساء الواقعات في يد داعش

دعا ربه الا تكون في أيديهم .. دعا ربه بأن تكون قد تركت البلاد

لعل الله يستجيب له

قطع حبل أفكاره دخول الحارس عليه

مطالبا بالذهاب معه حيث الشيخ العتيق في انتظاره

نهض أحمد في ثوبه الأسود كسواد ليله

من الخيمة إلى الخيمة بضع أمتار

يري فيها أحمد جميع العالم

مجتمعين على أرض واحدة

هـــذا عربي ... وهذا أجنبي، وهذا أتى من بـــلاد ما وراء النهر، وهذا أيضا مـــن أقصى جنوب الأرض

ألقى التحيه ... فرد عليه الشيخ العتيق

أشار الشيخ إلى أحمد بأن يجلس

أغلق الشـــيخ المصحف الكريم .. وأنزل نظارته من على عيونه وقال، كيف حالك يا أحمدي؟

عدل أحمد من وضعه وقال: الحمد لله رب العالمين

الشـــيخ العتيق : لقد أخبرني أبو اســـلم أنك تعتزل النســـاء أهذا صحيح ؟

ابتسم أحمد وقال : نعم يا شيخ هذا صحيح

الشيخ العتيق : لم يا بني .. أتوجد لديك مشكلة ما؟

ابتســـم أحمد مرة أخرى وقال : لا يا شيخ لا يوجد أدنى مشكلة لكني جئت إلى الجهاد ليس إلا

الشـــيخ العتيق : لكني لم أشاركك في الحروب حتى الآن وأنت أيضا لم تطلب ذلك

اندهش أحمد ودق قلبه وقال : أليس لكل جندي دوره يا سيدي؟

لا يوجد أحد معنا يفهم في إدارة شئون بيت المال مثلي

الشـــيخ العتيق : إنه إبليس .. أبى واســـتكبر على الله وقال كذلك حتى أصبح ملعونًا

وأنا لا أريد أن تصيبك اللعنة

اندهش أحمد أكثر ووسعت عيونه : لا أتكبر إطلاقا

الشيخ العتيق : أريد منك حمل هذا السلاح ولاتدعه يفارقك وأريد منك أن تأخذ نصيبك من النساء

أحمد : أترديني أشارك في الحروب

الشيخ العتيق: لا أريد منك أن تعيش مثلنا ولا تشعر بالتفرقة

أحمد: ولكن قلبي مطمئن إذًا أنت مصمم على ذلك دعني أتزوج

الشيخ العتيق : أتريد أن تتزوج من الكفار إنه حرام شرعا

اذهب إلى عملك وافعل ما أمرتك به ولا تدع اللعنة تصيبك

نهض أحمد من مقعده وحمل سلاحه وكان يوجد الكثير من الحديث في عقله

الزواج منهن حرام .. واغتصابهن حلال

أهذا هو الدين ؟

خرج أبو اسلم من خلف الخيمة ودخل إلى الشيخ العتيق

الشيخ العتيق : انه موته قادم لا محالة

اجعل أحد إخواننا معه ... واجعله يلازمه

لكي يتعلم منه كل شيء، ثم نقتله

ابتسم أبو اسلم : حسنا يا سيدي اليوم

***

تحول المشفى الصغير إلى مشفى كبير جدا

لقد وضعوا السرائر والمصابين في الشوارع

وفي البيوت التي قد تركها أهلها

المصابون القادمون من منطقة خان العسل

كان الأقرب إليهم مدينه حلب « أم المعارك»، وخصوصا المشفى الكندي

قام المسعفون بأسعافهم، لكن المسعفين كانوا قلة في وجه العدد الهائل من المصابين، فطلبوا من مدينة حمص أن تمدهم ببعض المسعفين

بعد ســـاعات وصلت ســـيارة تابعة للجيش الســـوري، تحميها إحدى الدبابات وســـيارة سريعة يوجد عليها بعض الجنود، دخلت هنادي ومعها بعض الأطباء، مهرولين إلى المشـــفى

كان المشهد بشعا جدا .. الدماء اختلطت بالرمال، والدموع حضنت الاوجاع من يمت .. يدفن في مكانه

لا يوجد سبيل للدفن في المقابر

حتى المقابر لم تسلم من أيديهم

حتى إكرام الميت الذي حدثنا عنه الإسلام، لم يحدث على أيديهم

لقد وجدوا الجثـــث ملقاة على الأرض، وأطراف قد تركت أصحابها عنوة الدم بدا ينفذ ولا يوجد ســـبيل سوى التبرع .

طلـــب منها أحد الأطباء البحث عن أحـــد جاهز للتبرع، فطلبت هي ان تتبرع، وبعد صراع طويل مع الطبيب اســـتطاعت إقناعه، وبعد التبرع غابت عن الوعي

ضعيف هو جسدها ... وعيونها دابلتان

استيقظت لتجد نفســـها جالسة على الأرض، وتســـند ظهرها على الحائـــط، وفي يدها حقنة تبعـــث إليها بعض المحاليل

التي من الممكن أن تسعف حالها

هنادي : ماذا حدث؟

الطبيب : لم يحدث شيء دعينا نخرج من هذا المكان، سنحمل المصابين معنا إلى حمص

لقد جائت الينا انباء ان داعش سترسل جنودها ؛ لضرب هذا المشفى

فقالت في نبرة حادة : ويل لهم ولمن تبعهم.

اصطفت السيارات و أحاطتها الجنود

الذين تركوا أسـلحتهم وقاموا بحمل المصابين إلى السيارات ذاهبين إلى حمـص تركوا ما تبقى من الجثث الـتي لم تدفن على الأرض، فهم يعلمون أن داعش سـيحولون هذا المكان إلى مقبرة جماعية

***

شـباب قاموا بثورة ... فاعتلت داعش علـى أكتافهم، معلنين حلم الخلافة المزعوم

وبدأت المعارك الأولى عندما دخل انتحاري مطار منغ العسكري

مرتديا ملابس الجيش، ومعه بطاقة تحمل اسمه ورتبته

حتـى وصل إلى المبني الرئيـس وفجره بالكامـل، ولم يكتفوا بذلك فحسـب لقد توغلت قوات داعش في ريف حلب، مستخدمين من السكان كتلة محصنة لحمايتهم فرضوا الجزية على غير المسـلمين والضرائب على المسـلمين حرموا الخمور والسـجائر و قاموا بإنشاء فريق يضبط كل من يخالف ذلك أطلقوا عليه فريق «الحسبة» يقبض على كل من يخالف شرع الله .

كما رأينا سيارات تابعة لهم مكتوب عليها الشرطة الإسلامية

كان أحمد يجلس ويسـمع أحدهم يقص ذلك على أخيه، وأكمل حديثه قائلا

يجلدون الناس و يتحرشون في النساء، كما دمروا مشفى عامًا حولوه إلى مقبره جماعية

لغموا السيارات ووضعوا بوابات على المدينة

لقد سقطت حلب .....

خرج أحمد من خيمته وجلس بجانب الشاب وقال له : أكمل حديثك ولا تخف

شعر الرجل بالخوف تجاه أحمد، فهو يعلم أنه مقرب من القيادة

ابتسم أحمد وقال له : ورب محمد لا تخف لن أضرك بشيء

اطمأن الرجل إلى أحمد بينما هرول صديقه بعيدا عنهم

وبدأ يحكي لأحمد عن وقوع مصورين في يد داعش ومخرجين

أحمد : أهم عرب؟

الرجل : لا ليسوا عربا بل أجانب قد تم اختطافهم وأمنوا على أنفسهم بتنفيذ أوامر داعش

أحمد : ولكن ماذا سيفعلون بمخرجين ومصورين؟

الرجـــل : سمعت أحد القادة يقول : إن من أســـاليب الحرب أن تخدع عدوك عبر الأقمار الاصطناعية

أحمد : يا الله سيغزون العالم بأفلامهم

أهذه هي الخلافة؟

لقد سقطت حلب يا صديقي في يد رجال لا يعرفون معنى للرحمة

أزيلت من قلوبهم الســـكينة ومحي منها السلام، وحلت مكانهم رائحة الدم

وكل ذلك تحت راية سوداء مكتوب عليها اسم الله ورسوله

***

عاد إلى خيمتـــه ... وعيونه تبكي .. وقلبه حزيـــن أمه ...أبيه ... أخته..... و حتى جلال

منزلهم ... الحي الذي عاش فيه ... وكل شيء

لقد اشـــتاق إلى مصر بأكملها كاشتياقه لهنادي بل أكثر دخل في نوم عميق ... معلناً عن أحلامه

في نفس الوقت ومع اختلاف المكان لكن الأرض واحدة

كانت هي ايضـــا تتذكر أبيها و أمها، وتتذكـــره .... كان دائما قلبها يرفض فكرة مماته

إذا قال عقلها ذلك ... فغلبها النوم

معلنه هي أيضا عن أحلامها

لعل الأحلام يا أصدقائي تغير بعض الواقع، لعلها تقابله في أحلامها

لعله يحتضنها ... ويؤمن قلبها الخائف

لعلهم يفوقون من نومهم لكي يجدوا أنفسهم

على فراشهم ويكون كل ذلك ما هو إلا حلم سخيف وممل

***

بعدما قام النظام السوري بتسليم محافظه الرقة إلى جبهة النصرة

قامت جيهة النصرة تسليمها إلى داعش

مطار الطبقة العسكري

آخر كرت يلعب به النظام السوري في هذه المحافظة

أعطى النظام .. الأمر لمجموعة من قواته

لضرب مواقع بأعينها لداعش في المحافظة

الأمر الذي جعل داعش تتوغل داخل الجيش

بخطة كانت أقرب من دهاء الذئاب

انتظر التنظيم ... خروج الفرقـــة لضرب المواقع وذهب هو لاقتحام المطار

فتحت داعش وابلا من الرصاص على المطار لكن كل المحاولات باءت بالفشل

حتـــى جاء الأمـــر بالانتظـــار ... وحصار المطار مـــن كل الجهات ولايتحركـــون حتى

تأتي الإشارة ... من الشيخ العتيق، قام الشيخ بإعداد أحد الرجال

دخل معه غرفة الغســـل ... قاموا بتغسيله .. ووضعوا حوله حزاما ناســـفا وكان الأمر بأن الســـيارة ســـتقوم بإنزاله أمام المطاريقترب من البوابة ... ويفجرها

نزل الشاب من سيارته ... وسار في خطوات ثابتة

تحت أضواء القمر إلى بوابة المطار، وقام بتفجير نفسه أسفلها

وبعـــد ذلك دكت دبابات داعش المطار ... بشـــكل منظم .. كأنها حرب دولية

وفي صباح اليوم التالي ... دخلت داعش المطار لتسيطر عليه بالكامل

وتمت عمليات كر وفر بينهم وبين الجنود

حتى اســـتطاعوا أســـر العديد من الجنود وكبلوا أيديهم وأعناقهم وساقوهم كالمواشي

أمامهم ثم بعد ذلك تم إعدامهم.

وبهذا تكـــون محافظة الرقة .. أولى المحافظات التي خرجت من تحت يد النظام السوري بشكل كامل

عـــادت الأنباء إلى الشـــيخ العتيق في خيمته، وأعلـــن عن إقامة حفل كبـــير ذبحت فيه الأغنام .. وحضـــرت فيه الولائم

جلس أحمد ...بجانب أبا اسلم على الأرض في حلقه يتزعمها الشيخ العتيق

قام أبو اسلم بوضع يده بأكملها في اللحم الذي أمامه ونهس قطعة كبيرة وقال وهو يأكل بشراهة، وماذا عن الغنائم يا سيدي؟

وقعت حبات الأرز على لحية الشيخ العتيق وبدأ في تكملة حديثه

لقد سيطرنا على مستشفى ميداني كاملة

سوف نستخدمها لشهور كثيرة

وسيطرنا على طائرات ميغ وســـوخوي ومروحيات روسية، وسيارة من نوع غازيل

وأعدمنا العشرات من جنودهم الكافرة كانوا يريدون الهروب

فرد الشيخ أبا أسلم : قال إذا كانوا على حق فلماذا يهربون؟

ضحك الشـــيخ العتيق وقال : انه الحق يا أبا اسلم استمع أحمد إلى الحديث الدائر بين المشايخ

وقال في نفســـه : ويل لكم من نار جهنم، انتهت مراسم الاحتفال وبدأ كل شـــخص في العودة إلى مكانه سار الشـــيخ أبو اسلم بجانب أحمد : ذاهبين إلى خيمه العمل

الشيخ أبا اسلم : ماذا بك يا احمدي .. اني اراك منشغل البال دوما مهموم

أحمد : ألسنا على حق يا شيخ أبا اسلم؟

فرد الشيخ في يقين تام :نعم يا أحمدي

أحمد : لماذا تقتلون الأســـرى إذا ... لم يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك؟

فرد الشـــيخ أبو اســـلم في دبلوماسية .. لقد قال ســـبحانه وتعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله «، لا تحمل نفســـك أسألة كثيرة

فالجنة لا يوجد بها شقاء

علم أحمد أن الشـــيخ أبا اسلم يهرب من سؤاله فعلم أنهم ليسوا على حق كما يزعم

ودخلوا إلى خيمة العمل لكي يستلم أعمال اليوم المنصرم

***

في ســـاحة المسجد ... وقف ذلك الرجل الذي يلقب نفسه بالخليفة يلقي خطبة دينية

يحس الرجال على الجهاد

جلس الشيخ العتيق وأبو اسلم والشيخ الاحمدي في الصفوف الأولى

كان أول مرة يراه عن قرب .. ولأول مرة يخرج من مكان معسكرهم

امتلأ المسجد عن آخره

حتى خارجه كان يوجد رجال يجسلون مستمعين الخطبة

قال : اليوم يوم الجهاد ... والعصر هو عصر الفتوحات

سنحرر الارض بأكملها ونبني دولة لنا

دولة الإسلام ... لن نترك كافرا واحدا في أرضنا

سنحاربهم في في عقر دارهم، سنجعلهم آيات لكل العالم

لن نترك أحدا حيا منهم.

دعونا نوحد صفوفنا ... ونعد جيوشنا، ونحارب باسم الله ورسوله

تعجب أحمد لحديث ذلك الرجل

فما الفرق بينكم إذا وبين الحملات الصليبية ؟

هم كانوا يحاربون باسم المسيحية، وأنتم تحاربون باسم الإسلام

فهل سيأتي صلاح الدين؟

قطع حبل أفكاره صوت الرجال وهم يهتفون الله أكبر

وبدأ الشيخ في صلاة الجمعة

خرج من المسجد بصحبة الشيخ العتيق وأبا اسلم

ركبوا سياره يأتي خلفها سيارة حراسه

أحمد .... ما أجمل حلب يا أبا اسلم

ضحك أبا أسلم : وقال أتمذح يا أحمدي

فهي حطام ... لا يوجد شيء فيها سليم

فرد أحمد وقال في ابتسامة : إني تخيلتها قبل مجيئكم إليها

نظر الشيخ العتيق إلى أبي اسلم مندهشا وقال : أجن جنونه؟

فبدل أحمد كلماته وقال : لتحريرها يا سيدي لابد أن هذا في صالح أعمالكم ضحك الشيخ العتيق وقال : نعم لينصرنا الله عليهم .. بإذنه

سارت السيارات في شوارع حلب، كل الأبنية دمرت

وكل السكان قد هاجروا

لا يوجد شيء حي فيها ... ياالله هون علينا

بدأ أحمد في فهم واستيعاب كل شـــيءحوله، علم الكثير ... وتعلم أكثر ومن الأشـــياء التي تعلمها ... هي الصبر

الصبر على المحن ...والتريث وعدم الاستعجال في كل أمور حياته

تعلم أحمد المراوغة بالكلمات وعلم أن الكلمة لها معان كثيرة وكل معنى لها يمكن أن يغير مجرى الحديث

أصبح أحمد مقربا جدا بصفته مسئولا عن بيت المال كان الحظ من نصيبه فلولا أنه المحاسب الوحيد الذي جاء إلى داعش في ذلك الوقت

لكان الآن في عِداد الشهداء

علم أن الشيخ العتيق يرتدي قناعا يظهر به في جميع الأوقات

لكنه يزيله عندما يدخل إلى خيمته ويضاجع نساء لسن على ذمته

ويأمر بقتل إحداهن أو اغتصاب جماعي لهن اذا رفضت أن تمتعه بها

حتى أبو أسلم هذا الرجل الذي يمسك بتلك السبحه ذات الأحجار الكريمة يخفي وراءه عدم اقتناع بما يفعله

دائما يظهـــر بأنه قائد عظيم قادر على غزو جميـــع البلاد لكني أراه عندمـــا يهرول من موقعه عندما يســـمع صوت الرصاص

كل هؤلاء الحمقى الذين أتوا إلى هنا من كل حدب ولون

لم يأت أحد منهم لنصرة الإسلام كما يدعون

إما هارب من حكم قضائي، وإما آت إلى هنا لحصاد الغنائم

وإما قامت إحدى الدول بإرساله لتفقد الأمر

***

في مستشفى عام بحمص ... جلست هنادي تسعف المرضى

وتنتقل عبر الطوابق في همه ونشاط

الكهرباء تنقطع طوال النهار .. وتأتي ساعتين فقط في اليوم

أصوات الطائرات لا تستطيع أن تغطي على أوجاع العالم

القذائف والصواريخ والقصف الجوي كل هذه الأشياء اعتادت سوريا عليها

جاء وقت الطعام ... الوقت كاف .. لكن الطعام لا يكفي

العشرات من الأفراد لا يوجد لهم طعام حقا

الخبز يتقاسم عليهم ... والطعام الذي يكفي لفرد واحد

يتقسم على أربع

أصبحوا مشردين وجائعين ولاجئين بمعني الكلمة

استطاع البعض أن يهرب إلى حدود الدول

الأخـــرى التي بنيت لهم مخيمات لا تســـتطيع أن تزيـــل عنهم حتى قطرات المطر

تدخلت منظم الأمم المتحدة هؤلاء الرجال ذوو البدل الغالية

الثمن بحقائب من الأطعمة والأدوية

سوريا التي كانت غنية في يوم من الأيام

أصبح أهلها اليوم .. على حافة مجاعة كبرى

جلست تأكل بعض من الخبز الناشف الذي لطالما جرح فمها، وأتعب ضروسها

حتي سمعت صوت فيروز يأتي من الخارج

«احكي لي ... احكي لي .... عن بلدي احكي لي

يا نسيم إلى مارق على الشجر مقابل لي /عن أهلي حكاية

وعن بيتي حكاية، وعن جار الطفولة حكاية طويلة»

يالله أنها تعشق هذه الكلمات ما أروع صوتك فيروز

سارت في اتجاه الصوت خطوة تلو الأخرى حتى اقتحمت الغرفة

امرأة عجوز في العقد السابع من عمرها

تمسك في يديها هاتفا .... تسمع من عليه آيات من القرآن، وأيضا صوت فيروز

جلست هنادي على فراش المرأة، بدون أن تتحدث إليها

وسرحت في الأغنية وأغمضت عينيها، لعلها أن تتذكر صورة أمها أو أبيها

برغم كل المشاهد التي حولها الآن

لن تتمكن من استرجاع مشاهد الحياة في بيتها

فمشاهد الحرب لا تريد أن تترك عيونها

المرأة ... ما اسمك؟

هنادي مبتسمة : اسمي هنادي يا خالة

المرأة : ما الذي جاء بك إلى هنا؟

هنادي : ضحكت بصوت عال .... نفس السبب يا خالتي التي جاء بك إلى هنا

المرأة : أتحبين صوت فيروز؟

هنادي : نعم

المرأة : سأسمعك أغنية أحبها كثيرا كنت اعتدت دوما سماعها عندما كنت أجلس في شرفة منزلنا مع زوجي ... نشرب كوبا من القهوة ونسرح

في عيون بعضنا البعض

هنادي : حسنا

يا أنا يا أنا ... أنا وياه صرنا القصص الغريبة

استطاع الصوت أن يخرج من النافذة لكي يطل على شوارع حمص

ويشاهد الناس ... ويقتحم قلوبهم

كان يوجد هنا .... يوماً شيء اسمه حياة

***

بعد التأكد من عدم وجود اسمه على قائمة الأحياء أو المخطوفين

أقاموا له عزاء ... في المكان الذي لطالما عاش فيه

وقف أبوه ... وزوج أخته ... يستقبلون الأقارب والأصدقاء وعيونهم

ثاكنة مثل الليل، لا أحد يعلم كيف مات ؟

كل ما يعرفه أن المسجد القريب من منزلهم أعلن وفاته

علمات الاندهاش أصبحت على وشوش الناس

لم يروا مراسم لدفن الجسمان، أو الذهاب حتى إلى المقابر

تعاونت الحكومة المصرية ... واستخرجت أوراق وفاته حتى لا تحمل

أسرته فوق طاقتها

أمه في غيبوبة دماغية ... وجسمان مستيقظ، عيونها لا تكل عن البكاء

وصوتها لا يكل عن النباح

كانت تنتظره عائداً ... فطالما حلمت بأنه ســـوف يرافقها إلى آخر لحظات حياتها

فمن سيقف على رأسها وهي تغسل

ومن سيمســـك يدها ويدخلها في مقبرتها، لقد دمر كل شـــيء بعد ضياع أحمد

حتى أبيه .... ذلك الرجل الذي وقف صلب مثل الحديد

برغم بأن دموعه لم تسقط عليه إلا أن قلبه كان يبكي

لقد انحني ظهره .... وكاد ينكســـر، لا مجـــال ... بأن يخفي هذه ا لحقيقة

***

لم تكتف داعش بما أحرزته من أهداف

و لم تتوقف عند ذلك ... فسوريا أصبحت هدفا سهلا يجب أن تأخذ منها قدر المستطاع

وجاء اليوم للسيطرة على أكبر حقل غازي في يد النظام السوري

وهو « حقل الشاعر » والذي يوجد في حمص

تم تدريب المقاتلين على الاشتباك المباشر مع قوات النظام

كانت الخطة موضوعة بتقنية عالية

رســـم كروكي للمكان ... مما أعطـــى لداعش فرصة توزيع جنوده بترتيب وتنظيم سنقســـم الجنود ... ثلاث فرق، ميمنة : وسيكون قائدها أبو أسلم

ميسرة : وسيكون قائدها المسعودي، وفي القلب سيكون القائد الأحمدي

اتسعت عيون أحمد ... لما سمعه من الشيخ العتيق

وكاد يخشى عليه

أحمد : هل سأشارك في تلك المعركة

الشيخ : نعم

أحمد: لكن يا سيدي

همس أبو اســـلم في أذن أحمد وقال في ابتســـامة صفراء : في قوانين الجيش من يرفض الأوامر يقتـــل ... أتعلم ذلك ؟

أحمد : نعم ... أعلم

أبا اسلم : إذا اختار يا ابني

أحمد : موافق

الشيخ العتيق : ستدخلون المدينة فجرا ... يوجد العشرات من رجال الجيش يحرسون حقل الغاز يجب أن يتم الفتك بهم

أبا اسلم : حسنا يا سيدي هيا بنا إلى صلاة العشاء

بعد الصلاة ذهب كل منهم لكي يأخذ موقعه

ذهب أحمد لكي يســـتقل سيارته وكان خلفه الشـــيخ العتيق يؤمن بنظراته قلوبهم

ويبشرهم بأن مصيرهم هو الجنة

الشيخ العتيق إلى أحمد : أأنت خائف؟

أحمد : نعم

الشيخ العتيق : هذه معركة بسيطة جدا اختارتك فيها حتى تؤمن روعك ويجحد قلبك ويعم فيك الحقد

تعجب أحمد لقول الشيخ وقال : بالحقد سننتصر؟

الشيخ العتيق : بالحقد ستكون قائد عظيم لا يخاف إلا الموت

على بركه الله يا رجال

سارت السيارات في ظلام الليل ... تخترقه برجالها

طفئت الأضواء ... ونزلوا على أرجلهم

اصطفت السيارات المدفعية حول الحقل

وبدا الشيخ أبو اسلم في النظر عبر المكبر لكي يشاهد تحركات العدو

نظر في ساعته وأمر المدفعية بأن تضرب مراكز الجيش و أبراجه

ثم أعطى أمرا آخر بأن يتوقفوا

سمع صوت طائرة قادمة لإحباط محاولة اقتحامهم

أمسك بسلاح ا ر بي جي صاروخ حراري

ونظر عبر مكبر السلاح

وكبر ثم أطلق الصاروخ

أصاب الطائرة إصابة مباشرة وأسقطها وقال « الآن حمي الوطيس »

بدأت الرجال في الاقتحام وضرب الجنود

وكانت الغنائم لا تعد ولا تحصي، دبابات وسيارات مصفحة

إضافة إلى سيارة كاسحة للألغام ومدرعة تستخدم للصيانة

فضلا عن منصة لإطلاق الصواريخ مزادة للدروع

وعدد من الصواريخ ومعدات حفر ثقيلة وأسلحة وذخائرمنوعة

و١٦ بئرا غازيا وخزانات طاقة، بالإضافة لقتل عدد كبير من الجنود

في ٢٤ ساعة استطاعت داعش أن تسيطر بالكامل عليه

وعاد أبو اســـلم والشـــيخ الأحمدي إلى مقرهم، لإخبار الشيخ العتيق بنجاح العملية

في الطريق ... كان الجميع في حالة صمت

الشيخ أبو اسلم ...: لم لا تفرح يا أحمدي لقد انتصرنا

أحمـــد ضحك ثم نظر إلى النافذة وقـــال : انتصار مزعوم وقوة غير متكافئة

أبا اسلم : لم يا أحمد دوما تضطرني في التفكير بأن أقتلك

ضحـــك أحمد وقال : إذا كان بيدك هذا الأمر لفعلت منذ أن جئت إلى هنا

ابتسم أبو اسلم وقال : هذا لأني أحبك

أدار الشيخ وجهه نحو النافذة وأكمل حديثه قائلا:

كنـــت يوما أحب امرأة وتزوجت غيري، وكنت يوما أحب عائلتي ... وهاجروني

وكنت يوما أحب وطني ... وضاع مني

لكن الحب يا صديقي لا يخلق الأموال افهمت ؟

أومأ أحمد برأسه في استيعاب ما يحدث، لقد حل الحقد في قلبه مكان الحب

ويل لنا جميعا

***

جلس القائد على المقعد المخصص له ... وأمامه جلس كريم

القائد : هل يوجد معلومات جديدة عن الشاب الضائع في سوريا

كريم : لقد أصبحت حكايته اغرب إلى الخيال لقد نشـــرت صور له أمس وهو يحمل ســـلاحا ويحارب في صفوف داعش

مما أحدث إثارة في الرأي العام المصري

القائـــد : لكن البحث عنـــه يفيد بأنه ليس له أي ميول سياســـية او انتماءات حزبيـــة أو دينية هو وعائلته

كريم : اعلم يا فندم ... زوج اخته يكون ابن عمي، وهو من أعطاني أكبر تفاصيل القضية

قصته قصة من قصص الأفلام الرومانسية

احب فتاة في سوريا وذهب لخطبتها، ثم حدثت الكارثة

القائد : وما هو تفسيرك لما حدث أمس؟

كريـــم : من الممكن ان يكون قد تم تهديده إن لم يحارب في صفوفهم سوف يقتلوه

القائد : ويمكن ان يكون تم غسل رأسه

ما اســـم مسئول بيت المال الذي نشـــرت الصحائف اسمه في الأسبوع الماضي؟

كريم : الأمير الأحمدي أو الشـــيخ الأحمـــدي وقالوا انه من أصول عربية

وتخرج في الجامعة منذ بضع سنين وهو صغير في السن

لكنه صارم في عمله ويذكرهم بالفاروق عمر بن الخطاب

القائد : نفس مده تخرج أحمد تقريبا

كما ان الاسمين متشابهان أهذه صدفة؟

كريم : لا اظن انها صدفة

القائـــد : يجب ان تصل بإخواننا في ســـوريا يجـــب ان نجمع كافة المعلومات عن الشـــيخ الأحمدي

كريم : أومأ برأسه في احترام شديد ثم انصرف إلى مكتبه

***

عادت الحياة إلى أسرة أحمد ... ولكن ليست كاملة بعدما قام كريم بالاتصال بجلال... وإخباره أن أحمد مازال على قيد الحياة

وأنه مازال في سوريا

على الفـــور أغلق جلال هاتفه وذهب إلى منـــزل أحمد لكي يخبرهم بنفســـه عن التطورات التي حدثت وعن الصور التي نشـــرت على مواقع التواصـــل الاجتماعي لأحمد وهو يحـــارب في صفوف داعش

أبوه : الحمد لله ... الحمد لله انه مازال حيا

أمه : يجب على الدولة أن تتحرك لإنقاذه

ابـــوه : هذه المشـــكلة لا تحل بهذه الطريقة إنـــه ليس بحوزة حكومة شـــــرعية يجب أن يوجد حل للمفاوضات

جـــلال : أظن أن كريم أخبرني أنهم تحركـــوا بالفعل للاتصال ب إخواننا في ســـــوريا لمعرفة مكانه، أبوه : وبعد ذلك

جلال : لا أعلم هذا هو عمل الدولة ولا سبيل لنا في التدخل فيه أهم شيء أنه مازال حيا ... في مكان معلوم

***

يجب أن نخلي المستشـــفى ونذهب إلى مدينة دمشـــق : قالها ضابط الجيش المسئول عنهم

القائد : لا يمكن التحرك أيها الضابط لابد أن الإرهابيين محاصرون المكان بأكمله

كما من الصعب علينا الســـير بالكم الهائل مـــن المصابين لقد بلغ عددهم ٣٠٠٠ مصاب

الضابط : انتظر أوامرك

القائد : سأطلب الدعم وأنت يجب عليك تفقد المكان بأكمله

الضابط : حسنا

هنادي أنتي هنا : قالتها المرأة العجوز التي كانت في الغرفة تســـتمع إلى فيروز

هنادي : نعم يا خالتي

المرأة : لماذا لا تذهبين معي ؟

هنادي : لا أستطيع ترك وطني يا خالة

المرأة : أين هو ذلك الوطن؟

هنادي : في قلبي ألا يكفي أنه مازال باقيا في قلبي

المرأة : دعينا نذهب إلى تركيا فضابط الجيش سيؤمن لنا الطريق

هنادي: الله معكم سأدعي الله أن تصلوا سالمين

المرأة : آمين

هنادي : لقد اعتدت على رحيل أحبائي أبي وأمي لونا خالتي ياسمينا وحتي أسامة، و أيضا الشخص الذي أحببته

حتى وطني ... لقد غادره الجميع ولم يبق سوى ذكريات وضعتها في صميم قلبي

***

معركة الفرقة ١٧ يوم ٢٤ يوليو

كأن التاريخ جاء مرة أخرى لكي يعيد نفسه

لم تختلف اعمال الشيخ العتيق عن اعمال رينو السفاح

فرينو هجم الحجاج العزل وهم في طريقهم إلى مكة

والشيخ العتيق الان يأمر بقتل الجنود وهم في المساجد

وكان المشهد تقشعر له الأبدان

مشهد سيقف عنده التاريخ مرارا وتكرارا

لكي نثبـــت لاجيالنا القادمين ان داعش لا تختلف تماما عن الحروب الصليبية او أي حرب جاءت تحارب في بلدنا باســـم الدين

وبعد ان يقوم المؤذن بالأذان عن صلاة الضهر ... حينها يترك الجنود سلاحهم

ويدخلون المسجد لصلاة الجمعة

سنبدأ في مهاجمة مقر الفرقه ١٧ في مدينة الرقة

سيكون عددنا ٢٠ الف مقاتل ويكون عددهم بضعة آلاف

اسد الله البلاوي : انت ستكون قائد المعركة

وقف رجل في العقد الرابع من عمره وقال : ستكون غزوه بإذن الله

في الصباح سوف يتحرك جيش المسلمين وينتصر عند حدود الرقة إن شاء الله

وتدخلون المدينة ليلا وهم نيام

لا اريد احدا منهم حيا

وضع الشـــيخ العتيق خريطة وقام بوضع حروف عربية على اماكن بأعينها

هنا مقر السلاح الكيميائي ... في طريقكم لمقر الفرقة

وهنا مقر الفرقة

وبالتزامن مع الهجوم ... ســـيهاجم الشـــيخ أبو اســـلم وفرقته مقر الجيش التابع لمدينة الحســـكة

أيوجد اية أسألة أخرى؟

اسد الله البلاوي ... لا سيدي

الشيخ أبو اسلم : لا

الشيخ العتيق الان ... نعلن راية الاسلام كان الله في عوننا جميعا

***

بعد عدة ساعات استطاعت داعش ان تسيطر على المقر الكيميائي

تفرق الشيخ أبو اسلم بفرقته في طريقهم إلى الحسكة

يجب ان يكون وقت الهجوم واحدا يا أبا اسلم يجب ان نشتت العدو

قالها اسد الله وهو يتفحص سلاحه ،أبا اسلم : حسنا يا اسد

هيا بنا يا رجال ... دعونا نسير على بركه الله

أعلن الامام عن صلاة الضهر ... ودخل المصلون لاداء مناسك الصلاة

وقفوا قاده داعش في اماكنهـــم ... ينظرون عبر مكبرات البصر إلى اهدافهم

وعندما اطمأنوا ... بدأت ساعة الصفر

لقد هاجموهم بكل شراسة وفجروا المسجد

وقتلوا الجنود العزل ... في بيت من بيوت الله

واستطاعوا ان يسيطروا على مساكن الضباط داخل مقر الفرقة التي تقع على مســـافه كيلو مترين فقط من المدينة الخاضعة الان لسيطرة داعش

كما سيطرت فرقة ابي اسلم على كتيبة انشاءات ومعمل للسكر وتم تدمير معسكر حكومي وقتل كل من فيه

،كل هذه العمليات كانت يوم الجمعه يوم يؤمن فيه المســـلمون على انفسهم

يوم يصلون فيه على رسولهم

فتصل إليه صلاتهم ... فيرد الصلاة بأحسن منها

يوم تخرج فيه نار من أرض اليمن

وتأتي البشر إلى أرض الميعاد

يوم تقوم فيه الساعة ... ويقول الله للنار هل امتلأت

فتقول هل من مزيد؟

لمن الملك اليوم .... لله الواحد القهار

أقتلون خلق الله ... باسم الله

كما قاتل الشيعة السنة باسم على

وقاتل الصليبيون العرب باسم المسيح

وقاتل اليهود العرب باسم موسى

وكل فريق جاء لكي يغتصب ارض , كان يقاتل باسم شيء عظيم اسم الله

فويل للكاذبين ... من يوم مثل يومنا هذا « يوم الجمعة «

***

يوم ٢٣ ديسمبر

جاءت معلومات لتنظيم الدولة الإسلامية

بوجود مستشفى قريب من حمص

المكان التي استولت عليه داعش منذ فترة

يوجد اســـفل هذا المستشفى اسلحه تســـتخدم لردع اي قوات تدخل للتوغل في المدينة

مستشفى حمص ... اخر مشفى طبي يوجد في قلب حمص

بين الحضر التي تسيطر عليه قوات النظام السوري

والريف التي تسيطر عليه قوات داعش

وبينهما تقوم الدول العربية من خلال جامعه الدول العربية

بحل المنازعات بشكل سلمي ... بين النظام السوري

وداعش ... بدأت داعش في التوغل أكثر وأكثر

داخل الأراضي السورية

بينما قامت بعض الدول العربية بإرسال طائراتها

لضرب مواقع تمركز داعش .. وكانت على رأس هذه الدول

الأردن

بعد تأكد داعش من المعلومات التي جاءت لهم

بوجـــود العديد من ضبـــاط الجيش الذيـــن تم إصابتهم في المعارك الأخيرة

كما توجد فرقه ... مدرعات تأمين المستشـــفى ويوجد العديد من المدنين داخله

وعلى الرغم من كل النداءات ... بترحيل سكان المستشفى إلى داخل دمشق

إلا أن الأمر كان صعبا جـــدا ... وذلك لعدم توافر الغطاء الجوي المناسب لتنفيذ عملية الإخلاء

وكانت الذئاب أدهى مما تتوقع، توغلت وحاصرت المستشفي

وبدأت المدفعية في القصف ...دون اي شفقة او رحمة

دمرت بعـــض الدبابات وقتل بعـــض الضباط والجنـــود التي نفذت ذ خير تهم

وتم استخدام أسلحة متطورة ... لا تعلم سوريا من اين جاءت في يد داعش

ثم توغلت العناصر الارهابية اكثر وحاصروا المبنى

أيقنت هنادي .. ان مصيرها هو الموت كباقي أراضي سوريا

قام احد الضباط بوضعهم في حصن قد تم صنعه تحت الأرض

النساء جميعهن فيه

ووقف الضابط بسلاحه على الباب منتظرا مصيره

قامت العناصر الارهابية بقتل كل جندي يقف أمامهم

وقع البعض تحت الاثر ،بعد ان تركوا أسلحتهم

صعدوا إلى العنابر والغرف يقتلون كل رجل .. حتى الجرحى قتلوهم

وهم على فراشهم بين الحياة والموت

هبطوا على الدرج .. يمشـــطون المكان باحثين عن اي شـــخص أو أي مكان للسلاح

لســـوء الحظ توجد قطرات دماء على الارض كانت أثرا أرشدهم إلى مكان النساء

ســـار على الدماء قائدهـــم ... يدهس الدمـــاء بقدمه ودخل ليجد الضابط

قتله الضابط بسلاحه

وحينما سمع العناصر الارهابية صوت طلقات الرصاص

اقتحموا المكان ... تعامل معهم الضابط

أسقط واحدا تلو الآخر

ثم تم فتح وابل من الرصاص عليه بطريقة عشوائية أدت إلى قتله

لقدم مات شهيدا

وقع الضابط ذو السابعة والعشرين من عمره

حاضنا سلاحه بين ضلوعه

بينما قامت العناصر الارهابية بالدهس فوقه وهاجموا الغرفة

ليجدوا النساء !

***

جلس أحمد ... والشيخ العتيق

امام بعضهم البعض ... وتم وضع رقعة الشطرنج بينهم

اصطفـــت الجنود في الأمام .... والقـــادة في الخلف ... كعادة أية معركة

وقفوا رجالهم من حولهم يشاهدون المعركة على أرض الواقع

الشـــيخ العتيق : عندما تقوم بتحريك احد القادة يجب ان توفر به الحماية يا بـــني ..فالأعداء لا يرحمون أحدا في الحرب

ضحك أحمد وقال : أن الجنود يا سيدي هم عماد الجيش وهم اساس الحـــرب .. فاجعل صاحـــب البضع خطوات يجعـــل عينيه على صاحب الخطوة الواحدة

الشيخ : الجنود لا قيمة لهم طالما ان الملك في أمان

حرك أحمد جندي وقال كش ملك فاكل الشـــيخ العتيق الجندي بالفرس

ثم اطاح أحمد الفرس بالمدفع وقال

جندي صغير اســـتطاع ان يغير مجري الحرب ويضيع فرســـك أمام مدفعي

جز الشـــيخ العتيق على أســـنانه وبينما هم يكملون حديثهم دخلت السيارات

الشيخ العتيق : ها هو أبو اسلم عائدا من جديد

مرحى مرحى يا أبا اسلم

أبو اسلم : السلام عليك يا نائب خليفة المسلمين

الشيخ العتيق : عليكم السلام يا نائبي الأول

أيوجد خبر جديد؟

أبو اسلم : يوجد غنائم جديدة

الشيخ العتيق : أهن جميلات؟

أبو اسلم : مثل البدر تنير ظلمات الليل

الشـــيخ العتيق : دعـــني أراهن ..فاليوم جميل وأريـــد أحدا ان يؤنس وحدتي

أبو أسلم : أمرك يا سيدي .... أنزل السبايا

أمر أبو ســـالم بإنزال النساء من الســـيارات نزلت النساء .. في ثوبهن الداعشي

الذي لا يظهر أي شيء على الاطلاق منهن

وقفـــت النســـاء ... مكبلات الأيدي ... والأرجـــل ... يجروهن من عنوقهـــن .. مثل البعير

ووقفوا جميعا صفاً واحداً

الشيخ العتيق : كم يبلغ عددهن يا أبا اسلم؟

أبو اسلم : مائة وسبعة وثلاثين يا سيدي

الشيخ العتيق : ستكون ليلة رائعة يا أبا اسلم

أبو اسلم : يجب ان نحمس الشباب على مواصلة الجهاد يا سيدي

الشيخ العتيق بصوت أحر من الجمر : اكشفوا عن وجوههن

تقدم أحد الحراس ...مفتول العضلات... أسود البشرة .. يحمل في يده سلاحا ثقيلا

وبدأ في إزاحة الحجاب عن وجوههن واحده تلو الأخرى

الشيخ العتيق : ألمسهن أحد يا أبا أسلم؟

أبو اسلم : نعم يا مولاي الاخوة في حمص ... كانوا متعبين جدا من مواصلة حروبهم ٠٠ فكان لا بد ان يأخذوا قسطا من الراحة في أحضان هؤلاء الجميلات

الشيخ العتيق : حسنا لا بأس

وصل الحارس إلى آخر فتاة وأزاح الحجاب عنها لتكون الصاعقة التي أرسلت من السماء على رأس أحمد يالله انها هنادي

هنادي في صفوفهن ... هنادي تقف بين أيدي الذئاب

أثار كدمات على وجهها ... لقد قام أحد بضربها ضرب مبرحا

يالله . .تقدم أحمد بجانب الشيخ العتيق وقال : أيسمح لي سيدي بأن أختار إحداهن

ابتسم الشيخ العتيق وقال : الآن أصبحت تتعايش معنا يا أحمدي

أحمد : نعم يا سيدي منذ أن سمحت لي بالانتصار في ساحه المعركة

أبو اسلم تدخل في الحديث وقال : اية معركة

ضحك الشيخ العتيق وقال : يقصد على رقعة الشطرنج

أبو اسلم : لكن مولانا سوف يختار أولا

أحمد نظر إليه نظرة دهاء وقال له : ان مولانا يحبني كأحد أبنائه ولا يمكن ان يرفض لي أول طلب أطلبه منه، أليس كذلك يا سيدي

ثم قبَّل يده في احترام شديد

ضحك الشـــيخ العتيق وقال : لك ما تريد يا أحمدي فأنت منتصر اليوم

فقال أحمد في ابتسامة شديدة: اسمي أبي على المصري

علي اسمك يا سيدي

تبسم الشيخ العتيق أكثر وأكثر فشبل من أشباله استطاع أن يكسب رضاه

تقدم أحمد في خطوات ثابتة حتى وصل إلى هنادي

نظر في عيونها وجدها تنظر في الأرض غير مبالٍ

ثم تراجع ثم عاد إليها مرة أخرى وقال: إذًا هذه لي

ضحك أبو أسلم وقال : أســـتطيع أن أستعيرها منك صحيح يا أبو علي

ضحك أحمد ولم يجاوبه : وسار حتى وقف بجانب الشيخ

فك الحرس قيود هنادي ودفعها بقوه حتى سارت بجانب أحمد

تحســـس الشيخ العتيق جسد هنادي وهمس لأحمد في أذنه : أحسنت الاختيار

ثم بدأت مرحلة تقسيم التركة كل شخص يأخذ نصيبه

حتى انتهى القادة في اختيار نصيبهم

وألقوا الباقي إلى قطيعهم ... لكي يأكلوا منهم مثل الذئاب

هذا المشهد يتكرر يومياً ... في كل قطاعات وولايات داعش

هذا المشهد يحدث كل ساعة

على أرض عربية إسلامية غير مبالٍ

***

دخل الخيمة .. وجاء أبو سـليم ممسـكا بها ثم ركلها على فراشه وانصرف

أحمد وعيونه تدمع كطفل صغير .. إن القدر يا عزيزتي ليس سـيئا إلى هذه الدرجة

لقد اشتقت إليكِ .... كاشتياق يعقوب إلى ابنه

لن أنساك في يوم من الأيام .... كنت معي دوما

حتي في أحلامي ... دعوت الله قبل مجيئي إلى هنا بأن ألقاك

وعندما جئت إلى هنا دعوت الله بأن يفرق بيني وبينك

فالقتل عندي اهون من ان اراك في مثل هذه الحالة

ظلت تنظر إليه في اندهاش شديد ... فهي لم تكن تسمعه بوضوح

لأنه في الأساس لم يتكلم ...كان يتمتم بفمه بكلمات ليست مفهومة

أحمد : الم تعرفيني

هنادي : صامته وعيونها سيل من الدموع

هل أنت حقاً؟

أحمد : أنا من ؟

هنادي : أأنت حقا أحمد؟

أحمد : نعم أنا أحمد

هنادي : سرت تشبه المغتصبين كثيرا

أحمد : المغتصبون

هنادي : نعم الذين اغتصبوا أرضنا ... وعرضنا

لقد هتكوا اعرضنا يا أحمد، نهشوا لحم أجسادنا

ذبحوا الرجال ...وقتلوا الاطفال، قتلوا ابي وامي

أنا هنا امامك ... شاهد ... شاهد جسدي، لاتدر وجهك عني

فكم من جندي ... رأى جسدي من قبلك، كم من ذئب فض بكارتي

لا تستعجب ... انظر .. حدق في جسدي لعلك ترى كل

مره كنت اغتصب فيها وعلى مرأى ومسمع من الجميع

قبل ان آتي إلى هنا ... كنت في أحضان ... أحدهم

وقبـــل ان تلمس يدي ... كان احدهم يتحســـس عليها، كم كنت أتمنى أن أكون بجانبك،على ســـنة الله وسنة رسوله

لكن في الحرب يا صديقي تمحى كل القوانين والشرائع

أصرتَ واحداً منهم ... ستغتصب جسدي مثلهم أليس كذلك

نظر اليك أحمد ... ولم يستوعب ما حدث .. لقد اغتصب وضاعت عذريتها

كما ضاعت عذرية بلادنا

لم أكن يوما أتخيل ما انا فيه الآن

لم اعرف يوما معنى حرب ... او دم ... او قتل

جئت إلى هنا ساعياً اليك .. طالبا يدك

لقد دمرتنا الحرب يا هنادي

هنادي : أمازلت تحفظ اسمي

أحمد : كيف أنساه وهو محفور في وجداني

هنـــادي : كم تمنيت ان تكون في عداد المتوفين حتى لا تراني في هذه الصورة

أحمد : وكم تمنيت بأن يسمح لنا القدر ... بان تكوني زوجة لي

هنادي : هذه احلام ... اسمع يا أحمد .. اسمع اصوات النســـاء في الخارج

تمعن في نباحهن ... انصت إلى قلوبهن الملامسة لرمال الارض

انظر إلى صورهن التي ذبحت

نحن في واقع اليم يا أحمد ... لا يتحمله بشر قط

أحمد : انا هنا معك لا تخافي .. ســـأكون بجانبك دوما لن اسمح بأحد بأن يقترب منك

هنادي: لا تستطيع

أحمد : سأستطيع

هنادي : قتلت ملايين المرات ... قتلت عندما رأيت النساء

تنتهك أجسادهن أمامي ولم أستطع ان أتحدث

قتلت عندما رأيت ساحات الإعدام لجيوشنا

قتلت عندما رأيت غنائم الجنود توزع

آبار البترول ... أسلحة الضباط

قتلت يا هنادي عندما علمت ان الخائن من داخل وطننا

عندما رأيت اخي يمول الإرهابين ساعيا لخراب الديار

قتلت يا هنادي ... بعد حديثك هذا

هنـــادي : في كل مرة ... كنت انادي عليك ... في كل مرة كنت اشاهدك في أحلامي

في كل يوم .... في كل يوم أحمد

دخل الحارس عليهم ... والقى التحية أنتهيت يا شيخ

أحمد : اخرج ولا تأت إلى هنا مرة ثانية

الحارس : الشيخ يريدها

أحمد : اخرج

أشهر أحمد سلاحه ... فخرج الحارس على الفور

هنـــادي : أرأيت إنه يريدني لكي أصبح مما ملكت يمينه يريدني لكي أكون من ضمن جواريه

أحمد : لا تخافي يا صيغرتي ... فالحب كالحرب أو أشد قساوة

اذا لم أستطع أن أخوض معركة حبك

سأخوض حرباً ... ضد اي أحد مهما كان

والآن اســـتريحي ... اخلعي ملابســـك ... غطي نفســـك .. وأنا سأنتظر هنا

هنادي : لا تبتعد عني

أحمد : حسنا ... افعلي ما امرتك به ... حتى لا ينكشف أمرنا

خلع أحمد ملابسه .. وجلس على الأريكه التي امام الفراش

دخل الشيخ أبو اسلم : القى التحية وقال له هل انتهيت؟

أحمد : ليس بعد

أبو أسلم : حسنا كنت اريدها إلى الشيخ

أحمد : اخرج الآن ودعنا نكمل حديثنا في الصباح

أبو اسلم : نظر إلى أحمد واندهش من لهجته الحادة

وقال حسنا كما تريد

لأول يوم من بعد ضياع وطنها تنام هكذا

نوم عميق خالٍ من اي خوف أو قلق

نوم في عرين الذئاب .. ولكن يوجد أسد قائم على حمايتها

ظل مستقيظا حتى الصباح .... عندما قام الحراس ...

بإرسال الطبول ... لكي يسيقظ الجميع

احضر الإفطار ....ووضعه في الفراش بجانبها وذهب لمقابلة الشـــيخ العتيق

***

الشـــيخ العتيق : وماذا بعد قالها وهو نائم على فراشـــه مستند على حائط خلفه

أحمد : أريد أن أتزوج منها

الشـــيخ : ابتســـم ثم احمر وجه كجمر النار ... اتريد أن تتزوج من كافرة

أحمد : الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من مسيحية

الشيخ العتيق : انت لست الرسول

أحمد : ولكن

قطع حديثه الشـــيخ العتيق وقال : فهمـــت لا تريد أحدا يتقاسمك فيها صحيح

أحمد : نعم

الشيخ العتيق : اذا يوجد شرط واحد فقط

أحمد : ما هو

الشيخ : ستشارك في العملية القادمة وستكون لك مدى الحياة

أحمد : حسنا وماهي العملية

الشـــيخ : في الليل ... ســـتعلم كل شيء والان انصرف إلى خيمتك فلدي عمل يجب أن اقوم به

ثم نظر إلى إحدى النساء إلى جواره مكبلة في الفراش

خرج أحمد من الخيمه وهو يقول كلمة واحدة فقط :

لعنك الله ... مثلما لعن أبو لهب

***

في طريق العودة ... إلى الخيمة الخاصة به

كان يوجد مجموعة من الشباب الذين يتدربون على الرماية

والغريب في بادئ الامر

أن الاسلحة التي كانت في حوزتهم

هي أسلحة قناصة متطورة للغاية ... يقال انها احد الغنائم التي تم الحصول عليها

في المعارك السابقة

لمح أحمد مبنى صغيرا مغلقا تماما ... لم يره أحمد من قبل هذا المبنى هو سجن صغير

يوضع فيه كل من يقبض عليه من الرجال

اذا لم يتم قتله في الطريق

دخل أحمد إلى الخيمة .... فوجدها جالسة تسند ظهرها على الحائط وتضم أرجلها إلى قلبها ... وتبكي بكاء شديداً

هرول أحمد في اتجاها ... أعطى لها كوبا من الماء صالحا للشرب

من فترة بعيد لم تشرب مثله

أحمد : ماذا بك يا هنادي؟

هنادي : نظرت اليه في ملابسه الداعشية، وكأنها لم تره من قبل ... ابتعد عني

أحمد : هنادي ... انا أحمد

هنادي وهي غاضبة : لا انت إرهابي

أحمد : لم اقتل أحدا

هنادي : لكنك معهم

أحمد : أنا معك

هنادي : لم تبحث عني

أحمد : كان عليَّ أن أطيعهم حتى أبقى على قيد الحياة

هنادي : جبان

أحمد : الموت واحد

هنادي : أتخاف من الموت؟

أحمد : كنت خائفا أن أموت ... ليس لأنني خائف من الموت

ولكن كيف أموت وانا لم اراك سوى مرة واحدة

كيف لي ان أموت واترك اهلي خلفي دون ان يعلموا عني شيئا

هنادي : هذا قدرك

أحمد : قدري أني أحببتك

هنادي : أأنت نادم على ذلك

أحمد : أيندم المرء على دخوله الجنة

ضحكت ... وضحك قلبها

أحمد : الآن رأيتها

هنادي : رأيت ماذا

أحمد : ضحكتك

هنادي : هذا ليس الوقت المناسب لكي تغازلني

أحمد : لا يوجد في العمر بقية يا حبيبتي

هنادي : تتذكر صوت الفيروز

أحمد : أيوجد لديك مانع بأن تغني لي مثل زمان

هنادي : أتريد أن يقتلونا

أحمد : بصوت منخفض وكفى

ضحكت ثانية : فجلس أحمد بجانبها ... وأمسك بيدها

فبدأت بالغناء

***

في مساء اليوم ... نفسه

كان على يقين أنه من الممكن الا يعود

لقد وضعت على عاتقه مهمة صعبة للغاية

من الواضح انه كان اختبارا أيضا

لكي يثبت ولاءه للتنظيم

توضأ ... وصلى ركعتين لله .. ونطق الشهادة عدة مرات

خرج في صحبة أربعة رجال ... أشداء

ذوي أسلحة متطورة جدا

وذهبوا إلى محافظة دمشق التي تسيطر عليها قوات الأسد

ارتدوا ملابس عسكرية ... ودخلوا المدينة ليلاً

ذاهبين إلى منزل أحد النواب

كان أحمد يرتدي اكبر رتبة ... من الواضح أنه القائد

استطاع تنظيم الدولة ان يقوم بتزوير بطاقات الهوية الخاصة بهم

لتسهيل دخولهم هناك

وقف العسكري عند بوابة الدخول .... إلى محافظة دمشق

فحص بطاقات الهوية ... القى التحية العسكرية

واشار إلى زميله .. بأن يقوم بزحزحة الحاجز

ابتسم أحمد وأشار إلى السائق بأن يتقدم

وقفت السيارة أمام منزل بطابق واحد، يأتي ضوء أخضر من احد نوافذه السفلية

في إشارة على وجود حياة في هذا المنزل

نزلوا من السيارة ...ودخلوا إلى باحة المنزل، تم الضغط على زر الجرس

فتح الباب رجل في العقد السادس من عمره، دفعه احد الرجال وقام الآخر بتقييده

دخلوا إلى المنزل ... كان فارغا

بحثوا عن ابن الرجل ... الذي من المفترض أنهم قادمون لاختطافه

لا أحد موجود على الاطلاق

سمعوا أصوات أرجل قادمة نحوهم ،أشـــهروا أسلحتهم ...وجدوهم رجال الجيـــش، تم التعامل معهم وأطلق الرصـــاص نحوهم، هربوا من الباب الخلفـــي ... كان الطريق فارغا

لم يلاحقهم أحد ... اشار أحمد إلى السائق بأن يهرب

في طريق العودة ... حاملين معهم مصأبا واحدا

***

كان يوجد لغز في خاطر أحمد

أهذه مصيدة للإيقاع بنا

ام هذا اختبار

لماذ تقهقر الجيش ولم يفصل بيننا سوى بضع خطوات

«في الحقيقة جاءت اوامر اليهم بالانسحاب بعدما علموا ان ابن الرجل في ايدينا»

قالها الشيخ العتيق وهو يجلس على أريكته ويأكل طعامه الشهي

وأكمل حديثه قائلا : عندما ذهبتهم لخطف الطفل جاءتنا معلومات بأن النائب قد قام بوضعه في مكان آمن وعلى الفور ارســـلنا فرقة أخرى لكي تجلبه لنا

تقدم الجيش للقبض عليكم ... لكنني ارســـلت اليهم تهديدا ووعيدا اذا لم ينسحبوا سنقتل الولد

على العموم نحمد الله على سلامتكم

اذهبوا الآن إلى فراشكم فغدا يوم صعب جدا

نهض أحمد وذهب إلى خيمته ولم يشـــعر بتلك الرصاصة التي توجد في كتفه

***

كانت تجلس على الفراش ولكنها تغمض عيونها

خلع ملابسه ... فوجد بقع للدم ... على كتفه من الخلف

انتبهت هنادي لصوته ... وعندما رأت الدم .. هرولت نحوه

لم تكن إصابة عميقة ... كان جرحا سطحيا

هنادي : لقد جرحت

أحمـــد : كان صامتا لم يحك او يتفـــوه بكلمة واحدة كان الرد في صدره

جرحت منذ زمن بعيد يا هنادي

جرحت عندما تركت عائلتي .... وطني

جرحت عندما تركتك اول مرة في معركة المطار

أفاق من شروده ... عندما شاهد كدمات بجانب فمها... ما هذا؟

هنادي : لا اعلم من الواضح أنها حساسية

أحمد : أتجرأ احد على الدخول إلى هنا وأنا في الخارج

صمتت هنادي للحظات وقالت : لا

لم تحك على دخول الشيخ العتيق ...ذي اللسان الفصيح إلى هنا

ومحاولـــة اغتصابها .. وعندما رفضت أقنعها انه حلال وانه جهاد في سبيل الله

دفعته ... فضربها

أخبرته بأنها ســـوف تحكي إلى أحمد، ضحك في اســـتهزاء شـــديد وانصرف

لم تستطع هنادي ان تخبره ما حدث خوفا عليه

جلست على الأرض وجلس بجانبها

أحمد: أتحبيني

هنادي: لا

أحمد نظر إليها في ابتسامة وقبَّل يدها

هنادي: أتحبني

أحمد: لا

هنادي : أنت تكذب

أحمد : مثلك

هنادي: ألا تريدني

أحمد : بلى أريدك .. أشتهي كل شيء فيك

هنادي : لو لم يكن حرام لملكتك نفسي

أحمد: إذًا علينا أن ننتظر

هنادي رمقته بعينها : شاهدت في مسلسل من قبل انه يمكن ان يتزوج دون مأذون

أحمد : كيف

هنادي : تقول لي زوجتك نفسي .. وأنا أقول قابلت زواجك

ضحك أحمد وقال : من الواضح أن العكس صحيح

هنادي : لا اعلم تعتقد انني كل يوم في حرب وكل يوم أتزوج

ضحك أحمد اكثر وقام باحتضانها... ولأول مرة يقوم بذلك

حتى عندما تجردت من ملابسها لكي لا يقوم احد باكتشاف أمرهم لم يستطع حتى أن ينظر إليها

نظروا إلى السماء لكي يشهد الله وملائكته على ذلك

هنادي: لكن الزواج إشهار

أحمد : ألا يكفي القمر والنجوم

هنادي : نهضت من مكانها وجلست على الفراش

اليوم انت زوجي أمام الله

أحمد : أعاهدك بأن نذهب إلى مصر عن قريب

فالمهمة التي أسندت إلى ... تعلمت فيها اشياء لم أكن أعلمها

وضعت رأسها بجانب رأسه

كان يرسم على الرمال شـــكل المعسكر من الخارج وكم بوابة وكم شـــخصا يحرس البوابة وقال: يوجد أربع بوابات على كل باب رجلان

من المعسكر إلى دمشق قرابة الساعتين

لو جاء القدر في صفي « أستطيع ان اهرب ان شاء الله»

***

سار كريم في خطوات ثابتة حتى دخل مكتب أحد القادة

ألقى التحية العسكرية

أشار الآخر له بالجلوس

كريم بدأ حديثه قائلا : عينة الدم الاولى تعود إلى شخص إفريقي

من اصل صومالي يدعى بوحبيـــب ٢٩ عاما وكان من تنظيم الدولة في ليبيا

وهرب إلى سوريا

القائد : حسنا يوجد معلومات أخرى

كريم : نعم

القائد : ما خطبك تحدث

كريم: العينة الأخرى لأحمد

تحليل الدم الذي قامت به المخابرات السورية

قالت انها تخص أحمد

وانه قريب جدا من العاصمة

ومن الممكن ان يكون من رجال الشيخ أبوعلي

وده يؤكد لنا التشابه بينه وبين الشيخ الأحمدي

مسئول بيت المال

وبهذا نكون كشفنا جميع الأوراق

الغريب في الأمر أن أحمد كان قائد الفرقة التي ذهبت لاختطاف ابن النائب الشماع

أحمد أصبح قريبا جدا من قادة تنظيم الدولة

القائد : يجب أن نعلم مكانه بالتحديد

كريم : حسنا

***

طفل في السادسة من عمره .... لا يعلم الكثير عما يحدث ترك في سجن غريب الأطوار

مظلم كالليل ... لا يوجد فيه غير نافذة واحدة تطل على وطنه الذي دمر من قبل الأعداء

أخذه احد الرجال ... وقام بوضعه في ساحة شاسعة وقام بالتقاط عدة صور له

وهو يرتدي ملابس تشبه ملابس الإعدام

وأرسلوا بها إلى والده ... اذا لم يأت بثلاث ملايين دولار سوف يتم قتل الطفل

تطوعت منظمة حقوق الانســـان بالتدخل ... لتكون الوســـيط بين النائب الشماع

وداعش .... وتم تخفيض المبلغ إلى مليون ونصف فقط

تم الاتفاق على مكان ما ... في محافظة دير الزور

أكثر المناطق تشددا وسيطرة من داعش

رحل الطفل إلى هناك، وتمت العملية في هدوء تام

دخلت سيارات الهلال الأحمر .... معلنة عن أعلامها

تتقدمها سيارة للأمم المتحدة تم تفتيش السيارات جيداً

قبل دخولهم إلى باحة المدينة

نزل من الســـيارات رجال ذوو بدل باهظة الثمن وضعوا اقدامهم على أرض سورية

ناظرين إلى معالمها إلى تم تدميرها

اصطف رجال داعش صفاً واحداً يتقدمهم قائدهم

مفتول العضلات ... مقنع الوجه يرتدي بدلة عسكرية

تابعة لفرقه صاعقة

تم تبديل الطفل بالمال، وعادت السيارات من حيث أتت

وتم تنفيذ العملية بنجاح

***

يوم ٢٠١٤/١٢/٢٤

الساعة الســـابعة صباحاً... قام الجيش الأردني بتوجيه عدة ضربات لمواقع

بأعينها داخل صدور داعش

نجحت جميع العمليات وعادت الطائرات إلى بلادها إلا طائرة واحدة

نجحوا في إسقاطها

قام الطيار الأردني معاذ ... بالقفز من الطائرة قبل ان تسقط

على الارض وتنفجر

في محافظة الرقة .... شمال سوريا

اتجهت عناصر داعش في اتجاه الطيار وقاموا بالقبض عليه

وصلت الانباء إلى الشـــيخ العتيق الذي امر بتسليمه إليه ،حتى يعقد معه تحقيقا صغيرا

فرح الرجال بسبب ذلك الحدث ... وكبروا كثيرا

فهذا مكسب جديد ... تحققه داعش على رقعة الشطرنج

أبو اسلم : وماذا بعد يا مولاي ؟

الشيخ العتيق : وقوع ذلك الطيار في يدينا هو نجاح كبير يا أبا اسلم

يمكن ان يعود الينا بغنائم وفيرة

أبا اسلم : سنحاكمه محاكمة عادلة ونرسل إلى العالم كله ان هذا سيكون مصير اي شخص يقف في طريقنا

الشيخ العتيق : سنقتله

أبو أسلم : لكن

قاطعه الشـــيخ العتيق وأشار إليه بأن يخرج وقال في نفسه : محاكمة عادلة

ما هذا الهراء يا شيخ؟

خرج الشيخ العتيق من خيمته ليرى تدريبات رجاله

ابتســـم ابتســـامه النصر .... وتذكر تلك الكلمات التي قالها منذ البداية

«طالما معنا ذلك السلاح ... لا يستطيع أحد محاكمتنا»

بالدم سنوســـع رقعتنا ونضيف بلادا جديدة لنا، بالدم ســـأكون انا خليفة المسلمين رمقه أبا اسلم بنظره وقال في نفسه، «الا تعلم ان صبري وشـــك على النفاد الا تعلم انني سأكون في يوم ما مكانك

باشارة مني أحرك جيش عدده ٥٠ ألف مقاتل ويزدادون بضعة رجال

بإشارة مني أحرق الاخضر واليابس، وأقتل العباد وأحرق المدن

سأكون أنا نائب خليفة المسلمين في سوريا وصاحب اليد العليا فيها

أترى أنهم يدعـــون بأن قلوبهم عامرة بالإيمـــان، لقد حل الحقد في قلوبهم يا بني ســـيقاتلون بعضهم البعـــض ... وتضيع قضيتهم الزائفة

إذا كانوا على حق كما يدعون

لوضعـــوا أيديهم في أيدي بعضهم و ســـاووا الصفـــوف لكن هذه هي حكمة ربك.....

اصطف الرجال في صفين أمام بعضهم البعض

ينتظرون مجيء الأسير الذي يتحدث عنه العالم

مفاوضات مباشرة وغير مباشرة لإطلاق سراح معاذ الكساسبة مقابل

إفراج السلطات الأردنية عن الإرهابية ساجدة الريشاوي

لكن داعش لم ترد ولم تعلق ولو بكلمة واحدة، أبدلوا ملابسه العسكرية بملابس الأسرى، وتم تكبيل يده من خلاف

نزل من السيارة ... في صحبة رجال أشداء

و تم وضعه امام الشيخ العتيق الذي كان يجلس على كرسي

دفعه الشـــيخ العتيق بعصاه ثم قال له : ما اسمك؟ لم يجاوب : كان معصب العينين لا يرى شيئا

تحرك أحدهم وركله

فقال : أجب يا بني فلا مفر بعد اليوم من ايدينا

لم يجب معاذ عليه

أشار الشيخ العتيق بوضعه في السجن

قام أحد الجنود ... باصطحابه وتم الزج به في السجن

أحمد : من هذا يا سيدي؟

الشيخ العتيق : هذا طيار أردني يدعى معاذا

أحمد : أتعلم اسمه ... لماذا تسأله إذا؟

ضحك الشـــيخ العتيق ضحكة عالية صدى صوتها أسمع الصحراء بأكملها

ثم قال : كنت أحب أن أسمع الخوف في صوته

ابتسم أحمد ابتسامة المغلوب على أمره... ثم ذهب إلى عمله

كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً

يوجد بعض الاعمال التي يجب أن ينهيها

صفقات سلاح مع دول عربية، يجب أن تنتهي من أسفل الطاولة

مبيعات نفطية لدولة تدعي الإسلام مثلهم، تمويل من الخارج

كل هذه الأعمال يجب أن تنتهي اليوم جلس أبو اســـلم ... والرجل الجديد الذي جـــاء من إحدى الولايات التي تســـيطر عليها داعش لكي يســـلم بعض الأوراق إلى بيت المال

بدأ أحمد في وضع البيانات على جهاز الحاسوب الخاص به

أبو اسلم : هذه الأوراق سرية جدا ... اذا لم تكن منا ما كنت وضعتها في يدك

أحمد : أشكرك يا شيخ

أبو اسلم : سأقوم باصطحاب الرجل نحو سيارة العودة

وسوف آتي لك مرة أخرى

تعجب أحمد لما رآه بعيونه، يالله ما هذا الهراء؟

هؤلاء الرجال الذين يدعون بأنهم قاده الفتوحات الإسلامية

بدل من ان يحاربوا إسرائيل، يتعاملون معهم

أحقا : ان عدو عدوي يصبح صديقي

يا الهي ملايين الدولارات في خزينة داعش، تأتي من إسرائيل

تحت مسمى تبرعات، وسطاء من قطر ومن تركيا

وبنود عن كميات من النفط ترسل في مواعيد محددة

العالم بأكمله عاجز عن الوقوف ضدهم

إذا كل هذه الادعاءات بتوجيه ضربات لداعش

لم تصيب فردا واحدا فقط منهم، إنه مخطط، يتزعمه إبليس

في منصب الخليفة، الساعة الخامسة صباحا يوم التحقيق

كان جسده ضعيفا جدا ... غير قادر على المقاومة

صوته أصبح منخفضا ... لا تستطيع أن تميزه إطلاقا

اسودت المنطقة التي أسفل عيونه، وشفتاه أصابها الشقق

لقد لعبوا بحواسه ... وشعوره، وضعوه مرارا وتكرارا على حافة الموت

حتى كاد يستسلم

لكن كان يوجد هاتف في أذنه، صوت ابيه « يا معاذ لا تستلم »

قاموا بإخراجه من زنزانته ودخل غرفة التحقيق، وضعوه على كرسي

وقف الشـــيخ العتيق، حولـــه رجال مقنعون، وخلفـــه كاميرا تصور الحدث

الشيخ العتيق .. اشار لإزالة الغمامة من على عيونه

تقدم رجل وألقى بها على الأرض

الشيخ بصوت غليظ : ما اسمك؟، نظر اليه معاذ وابتسم ولم يجب

الشيخ ألم تسمعني : ما اسمك؟

معاذ : اسمي معاذ « معاذ صايغ الكساسبة »

الشيخ العتيق : كم عمرك؟

معاذا : عمري آلاف السنوات

ضحك الشيخ وبدأ في السير تجاه معاذ وكرر سؤاله مره أخرى

كم عمرك ؟

ابتسم معاذ وقال في ثبات : عمري ٢٧ عاماً وبضعة شهور

الشيخ العتيق : ما هي جنسيتك ؟

ضحك معاذ فاندهش الشيخ من ضحكته

الشيخ العتيق : هل أخبرتك بشيء مضحك

معاذ : علم بلدي موجـــود على الطائرة التي كنت أدك مواقعكم بها ألم تره؟

لكمه الشيخ في وجهه وقال : أجب على سؤالي ما هي جنسيتك؟

معاذ : أردني الجنسية .. عربي النشأة ... مسلم القلب

الشيخ العتيق : مسلم القلب ... لا أرى الإسلام فيك

معاذ : كلاً يرى الناس بعين طبعه

الشيخ العتيق : لماذا جئت إلى هنا ؟

معاذ : أنا ضابط في سلاح الجوي جئت لكي أقصف مواقعكم

وألقي بكم إلى حيث الموت ذلك الشيء الذي تخشاه

الشيخ العتيق : ألم تفكر بأننا سوف نصيدك مثل الفأر، وتنفجر بك الطائرة

معاذ : ما أجمل الموت في سبيل الله

الشيخ العتيق : لا تذكر اسم الله على لسانك

معاذ : لا تستطيع أن تمنعني من ذلك

الشيخ العتيق : لا تعرفون الله الا في وقت الشدائد

معاذ : إني أرى الله في كل يوم منذ أن التحقت بالجيش

الشيخ العتيق : أنت متزوج

معاذ : نعم

الشيخ : لديك أطفال

معاذ : لا لم يرزقني الله حتى الآن

الشيخ العتيق : كنت أريد ان يكون لك أطفال، حتى يروا والدهم... في هذه الحالة

معاذ: أنا أيضا كنت أتمني أن يكون لدي أطفال

لكي يفخروا بي طيلة حياتهم

الشيخ العتيق : إنني مشفق عليك

معاذ : لا تملك إلا ذلك

الشيخ العتيق : سأحكم عليك بالإعدام ... ألديك مطلب

ضحك معاذ وقال : مطلبي ان تتركوا وطننا وتذهبوا إلى حيث دياركم

الشيخ العتيق : الموت أقرب لك

معاذ : إذًا أريد أن أصلي

الشيخ العتيق : لا لن تصلي

معاذ: سأصلي هنا ... وقف معاذ وقال الله أكبر

دفعه الشيخ فوقع على مقعده

معاذ : حسناً سأصلي وأنا جالس

دفعه الشيخ مرة ثانية فوقع على الأرض

معاذ : لن تمنعني بأن أقف بين يد الله

الشيخ : سأمنعك

معاذ : سأصلي بأصبعي

الشيخ : سأقطعه

معاذ : سأصلي بعيني

الشيخ : لن ادعك ترى شيئا بعد الآن

فابتسم معاذ وقال : وماذا عن قلبي؟

سأصلي بقلبي

غضب الشيخ واحمر وجه، وقال سأحرقك

ابتسم معاذ وقال : لا تختلف كثيرا عن المسيخ الدجال

فهو ايضاً سيأتي بنار

أشار الشيخ العتيق إلى رجاله الذين هجموا على معاذ بالضرب

بينما تقهقر الشيخ العتيق، لقد انتصر اللسان على السلاح

ألم تقل يوما ان السلاح هو المنتصر دائما

لقد سحقت يا أبا على

لقد سحقت ... انتصر عليك عبداً فقيراً لا يملك سوى إيمان قلبه

وحطمك مثلما حطم جنود سليمان النمل

***

سمعت بأنهم سيحرقون ذلك الشاب الذي تم القبض عليه منذ بضعة أيام

قالتها وهي ترتعش وتجلس بجواره في خيمتهم

نظر أحمد لها وقال : يقتلون رجلا يقول ربي الله

لعنة الله على أيديهم

هنادي: أحمد يجب ان نهرب من هنا

أحمد نظر اليها وابتسم كأنها تقرأ افكاره

هنادي : ماذا بك ؟

أحمـــد : أفكر في كيفية الهروب من هذا الوادي الســـحيق، عش من الدبابير

رجال مفتولو العضلات

لا ينامون قط

أسهل شيء لديهم هو القتل

دعيني افكر في كيفية الهروب

نهض أحمد من مقعده وقبل جبينها وبدأ في الخروج

هنادي : إلى اين ؟

اخذ أحمد صحنا به بعض الطعام وقال : لدي عمل يجب ان أنهيه

***

خرج من الخيمة ودخل متخفيا إلى حيث السجين

المتعب المنهمك

وجده نائما على جنبه على الأرض . .وواضعا يده اسفل رأسه

اقترب منه لكي يلامسه فصرخ الآخر من شدة الوجع

أحمد : انا آسف يجب ان تأكل

نظر اليه معاذ وقال له : من انت؟

ابتسم أحمد وقال : لا يهم من انا يجب ان تأكل شيئا

لا يجب أن يراك الأعداء ضعيفا

معاذ: ألست منهم؟

أحمد : إنه قدري يا صديقي

معاذ : ما اسمك؟

أحمد : اسمي أحمد مصري لا تخف

معاذ : مصري ... آخر شيء كنت اتوقعه ان اجد مصريا في صفوف داعش

أحمد : أتعلم شيئا عن مصر

معاذ : منذ متى وانت هنا؟

أحمد : منذ بضع سنين حتى انني عجزت على ان أعرف عددهم

قول لي اتعلم شيئا عن مصر

معاذ : نعم اعلم انها ام الدنيا .... يشد الرحال اليها من كل حدب ولون

إذا كنت هنا بغير إرادتك سوف تعود إلى ديارك

أحمد : متى يا ترى

معاذ : وطنك لن يتركك

أحمد : أتعاهدني إن انتصرت وعدت إلى وطنك سوف تحكي عني

معاذ: أعاهدك أمام الله

بأنني سوف أحكي عنك

***

لكي يثبت تنظيم الدولة الإســـلامية ... ادعاءه حول الخلافة بدأ في تسمية الكثير من عملياته باسم الغزوة

فظهرت .. أسماء للغزوات منسوبة إلى قائدها وجاء موعد

العمليات الكبرى

أرادات داعش ... ان ترد على عمليات القصف الجوي

التي تقوم بها الدول العربية ... فتجهت نحو المذابح الجمعية

في مساء ذلك اليوم الشاق

شهدت مدينة حلب ... أبشع المذابح في تاريخها

مذبحة مدينة عين العرب ... التي سبق وان صمدت

أمام حصار التنظيم وقد سقط العشرات

بين قتيل وجريح جراء العمليات الانتحارية

أعطى الشيخ العتيق الأوامر إلى رجاله

بأن العمليات الانتحارية هي خير سبيل للفتك بالأعداء

تم إعداد مالا يقل عن عشرين انتحاريا

غسلوا أجسادهم ... ووضعوا أحزمة شديدة الانفجار

حول اجسادهم ... فخخوا السيارات التي سوف يستقلونها

وشن التنظيم ثاني هجوم انتحاري على المدينة

مدينة ام المعارك ... حلب

سيارة مفخخة، ادت إلى قتل خمسة اشخاص على الأقل و أصيب

آخرون في تفجير قرب البوابة الحدودية

ترجلت قوات داعش وقامت بالاشتباك

مع مقاتلي وحدات حماية الشعب

مما اسفر عن مقتل عشرين شخصا كان النصيب

الاكبر من المدنيين

الخطة تتغير ساعة بعد الأخرى

وبرغم ان قوات حماية الشعب بدأت تستعيد نشاطها

لصد مليشيات داعش ... جاء الدعم من تركيا

رجال ذوو خلفية داعشية ... تحركوا من قلب تركيا

وبدأوا بالهجوم على مدينة عين العرب

في محافظة حلب ... وحاصروا المدينة من ثلاث جهات

وقاموا بدك المدينة ... والتوغل فيها

مما أسفر عن سقوط عدد كبير من الحرس

الغريب في بادئ الأمر ... ان قوات داعش

ارتدوا ملابس تابعة لقوات حماية الشعب

حتي يستطيعوا بقدر الإمكان ان يتوغلوا في الوسط

في غضون ذلك ... وبعد القبض على العديد من المدنيين

كانوا قرابة ٢٣ مدنيا جاءت الاوامر فيما بعد

بإعدامهم رميا بالرصاص

نساء واطفال وشيوخ ... تم الفتك بهم

أمام العالم بأكمله

اما الرجال الذين حملوا السلاح دفاعا

عن بلدهم .. لقد قتلوهم دون شفقة او رحمة

حينها هلل الشيخ العتيق وقال فرحاً

لقد سيطرنا على المدينة

الآن ظهر الحق .. يا ابنائي

فقام الرجال بالتكبير ... الله أكبر ... الله أكبر

برغم السعادة التي كانت على وجوههم

الآن قلوبهم كانت خائفة

لقد اظهرت تلك العملية الوجه الاخر لتركيا

الدولة الاسلامية التي تدعي التدين

وكشف الأوراق أمام العالم بأكمله

بأنه يوجد فرقة منهم كانت تنتظر وتتدرب في تركيا

حتي يأتي موعد المعركة

الآن تسقط جميع الأقنعة

ولم يكتف الشيخ العتيق عن هذا فحسب

فقد أمر رجاله ... المتمركزين في مدينة الحسكه

يالاشتباك مع الجيش السوري المتبقي

في الاحياء الموجودة جنوب المدينة

حيث شهدت هجوما عنيفا للتنظيم

وهنا بدأت داعش في اظهار طياراتها

وقامت بقصف المدينة

الأمر الذي حير الكثير من الساسة والعسكريين

منذ متى والتنظيمات الارهابية ... تستطيع استخدام الطائرات الحربية ولم يشف الجرح الواقع من اثر الطائرات

قام احد الانتحارين بتفجير سيارة مفخخة

بالقرب من حاجز القوات المسلحة على مدخل

الحسكة من الجهة الغربية

وتوغلت القوات الارهابية إلى ان وصلت إلى شارع المدينة الرياضية

والمقابل للسجن المركزي

وفرع الأمن الجنائي .... وسيطرت على احياء النشوة والسريعة في جنوب غرب مدينة الحسكة

واسفرت الغنائم عن مقتل ما لا يقل عن ٣ عناصر من قوات الجيش السوري

نعم لقد حمي الوطيس يا صديقي

***

«درعا»

ما أجمل رائحة الخبز ..... ما أقبح رائحة الدم

في وقت الحرب كل شيء مستباح ... كل شيء حتى خيانة العهد

العهد الذي تربينا عليه معا ... العهد الذي ورثناه عن اجدادنا

ان نظل ندافع عن ذلك الوطن حتى آخر جندي فينا

لكن فمال بالك إذا كنت تدافع عن وطنك امام اخيك

كانت هذه المعركة اشد من جميع المعارك التي شهدتها سوريا

شـــنت الفصائل الســـورية المعارضة هجوما على مواقع تسيطر عليها قوات الجيش السوري

في اطار عملية أطلق عليها «عاصفة الجنوب»

لقد اندلعت معارك عنيفة بين الجانبين

الأخ يقف أمام أخيه

لا تعلم إلى اين سوف تذهب الرصاصة ... أحقا إلى صدر اخيك

تمكنت القوات المعارضة التي تضع اسم سوريا بجانبها .. من السيطرة على مواقع تمركز الجيش السوري

من جانبه أعلن الجيش الســـوري تقهقره عن المنطقة بأكملها حتى لا يقع الكثير من الدماء

والآن من المســـتفيد ... من تحول ســـوريا إلى كعكة كل العالم أتى لاخذ النصيب الأكبر فيها

من المستفيد من تحول سوريا الآمنة إلى ساحة حرب شاسعة

ميدان وقفوا فيه السوريون يوما ما امام بعضهم البعض

ليكي يتقاتلوا ... للوصول إلى هذا الكرسي المزعوم

سيلعنكم أطفال المستقبل ... اذا انتهت الحرب بأطفال ومستقبل

***

في كل يوم ... تحرز فيه داعش اهدافا جديدة

كنت اعلم انني لن أعود إلى وطني

فأنـــا مصيري هنا «اما ان أقتل برصـــاص داعش، او برصاص الجيش السوري»

في كلا الحالتين أنا سوف اموت ... قبل ان اصل إلى وطني

بدأت في التعلم ... اشياء جديده لم تكن يوما تأتي في خاطري

لم اعلم يوما كيفية تزوير بطاقة هوية ... أو جواز للســـفر لم أعلم يوما كيفية حمل السلاح .. على الرغم من ان السلاح كان دوما بجانبي

إلا أن مظهره لم يشدني

لم أتعطش يوما إلى الدماء

عاهدت نفسي بأن أكون هادئا إلى أبعد الحدود

كانت نظراتي وهدوئي تخيفهم دوماً

كنت كالقشة التي سوف تقطم ظهر البعير

لم اؤمن يوما ان جلوسي في احضانهم هو حب وانهم رأوا في التدين

كنت اعلم دوما انني في مهمة عندما انتهي منها .. سوف يتم قتلي

أو سيتم الزج بي في معركة خاسرة ... واقتل فيها

وحينها سيتحدث عني التلفاز ... وتنشر الجرائد صورتي

وتكتب داعش فوق رأسي ... هنا مات الشيخ الأحمدي

وعندما يتوجه أحدهم بالسؤال عن من أكون ؟

سيقوم الشيخ أبو اسلم بوضع سواكه في فمه

ثم يبكي لبضع لحظات حتى تبتل لحيته

ويقول : كان من اشد الاخوان ايمانا .. وأمهرهم في الجهاد

انه اخي بل ابني .. الشيخ الأحمدي من ام الدنيا

ضحك أحمد لمجرد ان تخيل مشهد ابي اسلم

وهو يتنكر في زي المسالم الطيب، ودموعه تتساقط

كل شخص هنا يدعي بما ليس في قلبه، اعلم ذلك

أعلم من أتى إلى هنا ليكسب المال، ومن أتى إلى هنا باحثا عن سلطة

ومن أتى إلى هنا هاربا من شيء ما

لكل شخص فيهم قصة وحكاية ... لكل فرد فيهم حياة

لا تنظر اليهم وتحكم عليهم من الخارج

انظر إلى ذلك الرجل الجالس على مائدة الطعام

سمات وجهه تدل على انه من أصل افريقي

تحديدا من دول المغرب العربي

يأكل على استحياء وهو يحمل الطعام في طريقه إلى فمه

كأنه ترك وراءه أحدا جائعا

يستحي ان يأكل وذلك الشخص يعلم انه مازال جائعا

يمكن ان يكون أحد اصدقائه

يمكن أن تكون عائلته

أما عن ذلك الشخص ذي البشرة السوداء

علمت من هويته في التقاريـــر انه من جنوب إفريقيا، منذ أن أتى إلى هنا .. وهو لا يتحدث

ليس لديه أي أصدقاء، لا يضحك لا يبتسم

يطيع الأوامر إطاعة عمياء، عيونه دائما في حالة ذهول

بعد ان ينتهي من تدريباته

يجلس ويستند على احد الجدران

ويبقي هكذا حتى تأتيه الأوامر، لا اعلم ماذا بك؟

لكني ايقنت انه ليس هنا بمحض إرادته

في آخر الصفوف يجلس شاب وسيم، في اوائل الثلاثين من عمره

من الواضح انه ذو أصول أوروبية

يدعي « حسن » ملابسه وطريقة تناوله للطعام

تدل على أنه ذو جاه وسلطة

علمت بعد ذلك انه مخرج تلفاز كان يعمل في فرنسا

اختطفتـــه عناصر من داعـــش ؛ لكي يخـــرج أفلامهمالتي يقومون بتصويرها

مقابل راتب كبير لكي تضمن داعش انه سيظل معهم

من الســـهل جدا ان يعلن إضرابه عن العمل ... ومن السهل ايضا ان يقتل لذلك الجميع هنا يكن له كل احترام

الذي يجلس بجانبه ... شاب آسيوي

لا اعلم إلى اي بلد ينتمي

نظارتـــه ذو الماركة المشـــهورة ،وقميصه كذلـــك، علمت انه مصور محترف كان يعمـــل في هوليود

معظم الافلام ذات الاثارة والاكشن كان هو من يقوم بتصويرها

يستطيع ان يرسل لك عدة رسالات عن طريق صورته

علمت انه الوحيد غير المسلم هنا.. والوحيد المتطوع من دولته

يستطيع ان يأمر أبا اسلم بأن يحمل حقيبته

ويستطيع ان يقتحم غرفة الشيخ العتيق اذا كان الطعام لا يحبه

هنا العالم بأكمله على أرض واحد، هنا ثقافات العالم أجمع

هنا حياة مختلفة عن تلك التي نعيشها

هنا شيء أغرب من اليخال

فلا تفكر كثيرا ... يجب عليك ان تقترب

المشهد اصعب من الذي تراه في التلفاز

كتب أحمد تلك الكلمات على جهاز الحاسوب

لعل وعسى يأتي احدهم ذات يوما... ويقوم بقراءتهم .. ويحكي عنه

كان هنا شاب مصري يدعي « أحمد »

بعد فشل المفاوضات بين الاردن وداعش

وبعد عرض الاردن تقديم ساجدة الرشاوي هذه المرأة الإرهابية

ذات الأصول العراقية

حيث كانت مسئولة عن عملية انتحارية في فندق « راديسون» في عمان الاردن

وبعد ان فشل حزامها الناسف في الانفجار واثناء محاولة هروبها

قامت السلطات الاردنية بالقبض عليها وذلك عام ٢٠٠٥

لم تستجيب داعش إلى تلك المفاوضات، وقامت يوم ٣ يناير بإعداد معاذ للحكم عليه

في مكان ما بجانب المعسكر ... تم إعداد الموقع

بناء قصف حديدي ..لكي يتم وضع معاذ فيه لكي يتم حرقه .. كما توعده أبا على تم إخراجه من السجن وقاموا بتقيضه وساقوه أمامهم

نظر أحمد اليه .. فابتسم الآخر كعادته

كانت ابتسامه معاذ إلى أحمد تحمل في طياتها، الكثير من المعاني

أهمها «أن النصر آتٍ لا محالة»

كان يريد أحمـــد أن يبكي ... لكن الدموع جفت في هذه الســـاعة، ســـاروا به إلى مكان الواقعة

ذهب معهم الشيخ العتيق .... وقبل ان يوضع في القفص الحديدي

نظر اليه الشيخ العتيق وقال لهم فكوا قيوده

قام الحارس بفك اليدين ثم خضع امام معاذ لفك قيود قدمه

وألقوا به في القفص نظر اليه معاذ وابتسم

نطق الشهادة عدة مرات

وقال له «اتعلم انك مازلت تشبه المسيخ الدجال»

احمر وجه ابي على وازداد غضبه، واشار إلى الحراس بإشعال النيران

وتم حرق معاذ صافي الكساسبة

على مرئي ومسمع من العالم العربي

مشهد بشع للغاية بكي من أجله الكثير، لقد أحرق على الهواء مباشرة وتم ارسال الفيديو إلى جميع محطات العالم

كان يردد في قلبه، يا نارا كوني باردا وسلاما

بيد عربية ... على ارض عربية ... وبنفط عربي

أحرق انســـان عربي، بقلب بارد ولسان يدعي الايمان هكذا هي حكاية كل العرب

بعد الواقعة عادوا إلى معسكرهم ضاحكين

كأن شيئا لم يكن، أعلن إمامهم الصلاة

حاسبين انهم واقفون بين يد الله

يدعون الله لينصرهم

يدعون الله ليوحد صفوفهم وتعلوا كلمتهم

معتقدين انهم على حق

وعلي اثر ذلك

قامت بعض الدول العربية بسحب قواتها الجوية

من العمليات الموجهة إلى داعش خوفا من ان يكون مصيرهم مثل معاذ

لكن السلطات الاردنية، لم تتقهقر بعد، اعدمت ساجدة الريشاوي

وقاموا بإرسال صواريخ كتب عليها اسم معاذ

لكي تحيا ذكراه دائما وأبدا

لقد وجهت عدة ضربات أصابت داعش في مقتل

ومازال الثأر مستمرا

***

لقد طفح الكيل يا ولدي، نستعبد في اراضينا ... نأمر ... ونعذب

ولا مجـــال للفرار لقد كتب علينا ان نحـــارب، كتب علينا ان نبقى مشردين لاجئين

بعدما كنا في يوم أسياد قوم

اصبحت داعش ... أصحاب أرض

انظر إلى تلك السيارة انها سيارة شرطة

صنعتها داعش لكي تؤمن افرادها داخل المدينة

تتحسس على جسد الوطن ... باحثين عن اي اخطاء

يمكن لاحد ان يرتكبها

ثم يتم القبض عليه عليه ويعاقب

اما بالجلد ... واما ان يدفع اموالا

لقد اصبح لهم الكلمة العليا ... لقد اصبح لهم درع وسيف

برغم ما حققته داعش من اهداف

في طريق سعيها نحو حلم الخلافة

أو ما يسمى بعودة الدولة الإسلامية

إلا أنها لم تستطع اجبار الشعب السوري، أن ينتمي لهم ... او يقف في صفوفهم برغم أنهم يحكمون نصف الأراضي السورية

الا انهم لم يتعلموا من التاريخ

لم يتعلموا من هؤلاء الحمقى الاستعماريين

الذين أتوا إلى هنا في يوم ... معتقدين أنهم سيحكمون الوطن العربي

لكن! أين هم الآن؟

جلس المصلون في باحة أحد المساجد

منتظرين خليفة المسلمين ... لكي يقوم بإلقاء خطبة الجمعة عليهم

دخل المسجد في ثوبه الأسود ... كسواد الليل، حوله حراسته

إنهم يحرسونه حتى داخل بيت الله

وقف الجميع ... معلنين عن احترامهم له، صعد المنبر .... وأشـــار لهم بالجلوس

وبدأ في شرب كوب من المياه المثلج ثلاث مرات على السنة

ثم قال : بسم الله ... والصلاة والسلام على رسول الله

أيها المجاهدون نشكر الله على ما وصلت إليه دولتنا في العراق والشام

لقد أصبح لنا الكلمة العليا، وكلمة الكافرين هي السفلي

لكن مازال يوجد اهداف لم نحققها بعد

إنني أدعو جميع المسلمين في كل بقاع الأرض، أن يواصلوا المجيء إلى هنا للجهاد ... لبناء دولة إسلامية عادلة

لقد أصبح لنا دولة في بلاد الكفر والطغيان فكبروا

بدأ الرجال في التكبير، ثم أكمل حديثه قائلا

اليوم ... اليوم فقط أعلن من موقعي هذا عن عملية كبري ســـوف تحدث حتي نســـتطيع توحيد دولتنا في الشام والعراق

إن إخوانكم على أتم الاستعداد الآن لبدء عمليتهم .... فكبروا

بدأ الجموع في التكبير مرة أخرى، أشهر سيفه وأشار إلى احد حراسه

الذي همس في أذن أحدهم وقال له «الآن»

تحركت قوات داعش ... في طريق الحدود، ونشبت معركة شرسة

بينهم وبين النظام السوري

ولكي تضيق الخناق عليهم بدأ القصف بالمدافع عن طريق العراق

فبدأت القوات السورية في فقد توازنها

بعدما أصبحوا بين شقي الرحي، وترك بعض اسلاحتها

ومواقعها في أحضان داعش

وسقط آخر معبر حدودي بين سوريا والعراق

كان اسمه معبر الوليد

وبذلك أصبحت داعش تسيطر على الشريط الحدودي بأكمله بين سوريا والعراق

أثناء الصلاة وفي الركعة الثانية خرج أحدهم من الصلاة

وخرج من المسجد، وركب سيارة وهرب

لم يكن أحد يشعر به، سلم الخليفة وأدار وجهه في اتجاه المصلين

وقال : الآن وحدنا أراضينا الآن ظهر الحق

ووقف مشهرا سيفه، التف حوله حراسته

وخرج من المسجد، وعندما بدأ في السير تجاه سيارته

سمع صوت الطائرات تقصف المكان بأكمله

وشيع خبر وفاة الخليفة

***

الحرب وحدها هي من تختار رجالها

في تاريخ الحروب ... إذا مات القائد

تموت القضية معه ... إذا لم يكن هناك من يتولى المسئولية مكانه

أُذيع خبر وفاة الخليفة في أرجاء داعش، عم الحزن على ارجاء المعسكر

التابع للشيخ العتيق

لكن الشيخ العتيق نفسه لم يكن يبالي بالأمر

جاءه الخبر وهو في فراشه ... يضاجع أحد النساء

وقف .. وارتدى ملابسه، وضع المسك الفواح على جسده

وخرج من خيمته، وجد الرجال ينتظرونه في الخارج

فقال وهو يبكي : لقد مات الخليفة أبو بكر

مات الخليفة، مات القائد، لكنه ترك فيكم إيمانه

ثم أشهر سلاحه وقال:

من هنا ... نبدأ الجهاد في جموع الدول العربية

سنكمل طريقه، حتى ننال الشهادة

لم يكمل الشيخ العتيق حديثه، حتي جاء بجانبه الشيخ أبو أسلم

فهمس في أذنه : لم يمت، لقد أصيب فقط

نظر الشيخ العتيق نظرة اليأس الذي فقد أمله

أين هو الآن ؟

أبو أسلم : ذهب إلى العراق فسوريا لم تعد آمنة له

لقد أصيب في العمود الفقري وأصبح شبه عاجز

بدأ الخوف يسيطر عليهم

فقال وهو يرتجـــف: لقد وصلوا إلى القائد ليس من الصعب الوصول الينا يجب أن نخلي المعكسر

لكن الشـــيخ العتيق رفض ذلك، فكيف سننقل ما لا يقل عن ٢٠ألف مقاتل

وعشرات من السبايا، والأسلحة، والذهب والأموال

سنكون عرضة للقصف الجوي

أبو اسلم : لقد اصبح لنا الكلمة العليا في سوريا بعد إصابة الخليفة

نظر الشيخ العتيق له في اندهاش وقال : لنا

فابتسم أبو اسلم وقال : لك اقصد لك، كلمتك انت وحدك

فقال الشيخ العتيق : سنبقى في مواقعنا ونمد إخواننا بالامدادات

االخذ معك الشيخ الاحمدي، ومشطوا المعسكر بالكامل

وأرســـل الشيخ أبو عدنان ومعه بضعة رجال يمشطون المنطقة التي في الخارج لن اسمح بأن نوضع بين أنياب الأســـد، لم يخرج من خيمته منذ بضعة أيام

كان يفكر في محاولة الهرب من صفوف داعش

يأتيه القدر دائما بمعلومات

يوحد تفكيره ... يدون معلوماته ... لكن في هذه المرة ... وعلى رقعة الشطرنج

وضع العساكر في الخلف ... والقيادة في الصفوف الأمامية

المانع الوحيد الذي يخشاه هم القادة، كيف سيهرب منهم

دخل الخيمة أبو اسلم دون ان يستأذن حتى

نظر إلى جسد هنادي النائمة على الفراش، فابتلع ريقه بصعوبة شديدة

لمحه أحمد بطرف عينه، أحمد : أيوجد شيء يا أبا اسلم

أبو اسلم: السلام عليكم

أحمد : عليكم السلام يا شيخ أيوجد شيء؟

أبو اسلم : لقد امرني نائب الخليفة بأن أصطحبك في رحلة مدتها نصف ساعة

نمشط فيها المعسكر بأكمله

أحمد : حسنا هيا بنا .... تقدم أبو اسلم الخطوات

ونظر أحمد إلى هنادي ... لكي يطمئن انها مازالت نائمة

***

لاول مرة منذ اتى إلى هنا يرى المعسكر بأكمله تحت أضواء الشمس

على الرغم من أنه أصبح مسئولا عن بيت المال

إلا أنه كان له حدود ... لا يجب ان تتخطاها

رجال ... أنارت الشمس وجوههم ... لكنها فشلت في إنارة قلوبهم

ساروا بالسيارة يثبتون قلوب الحراس

ويوحدون صفوفهم ... خاشية من حدوث هجوم في أي وقت

كان للمعسكر ٤ أبواب

يقف على كل بوابة رجلان بسلاح ثقيل

وسيارة وضع في خلفها سلاح مثبت يستطيع ردع الدبابات

انتهى التمشيط، وعادوا إلى مواقعهم

ذهب أبو اسلم ... لكي يطمئن الشيخ العتيق

وذهب أحمد لكي يطمئن على هنادي

حتى سمع اصوات اطلاق أعيرة نارية

سحب الشيخ أبو اسلم سلاحه، وامر الحراس بحماية الشيخ العتيق

ذهب بسيارته في اتجاه صوت الرصاص، خرج من البوابة مسرعا

فوجد أبا عدنان ورجاله، يقبضون على رجل، وضعوا الحديد في يده

وأخذوه في اتجاه المعسكر

***

شاب في أوائل العشرينيات، قمحي اللون، ذو شعر كبير

يوجد على جبينه زبيبة الصلاة، لحيته بنية وعيونه خضراء

سبحان من صوره في احسن صورة

أبو أسلم : ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

الشـــاب : كنت تائها عطلت ســـيارتي بجانب موقعكم، فســـرت على اقدامي وجدت رجالكم يتجهون نحوي، ويطلقون أعيرة نارية في الســـماء

فوقفت في مكاتني حتى أتوا إليَّ

أبو اسلم : ما اسمك؟

الشاب : اسمي أيوب .. من أم المعارك

الشاب : هل انت من حلب؟

الشاب : نعم انا اعرفك جيدا انت عمي أبو اسلم

رأيتك مع والدي كثيرا

أبو اسلم : من يكون والدك؟

الشاب : أبو أيوب الدمشقي

أبو اسلم : مرحى مرحى ... أأنت ابن البطل

ابتســـم ايوب وقال نعم كنت ذاهب إلى والدي .. لكن الســـيارة نفد وقودها

ضحك أبو اسلم وقال : نفد الوقود في وطن النفط

ياله من أمر ساخر

ثم نظر إلى الحارس وقال له : فك قيوده

أحسن معاملته ثم اذهبوا لجلب سيارته

شكر ايوب أبا اسلم كثيرا

فابتسم أبو اسلم ووقال : هذا اقل شيء اقدمه لابن البطل

والنعم فيك وفي ابيك يا ايوب

كان ايوب منذ ان دخل إلى الغرفه وهو ينظر إلى أحمد كأنه يعرفه

اندهش أحمد من نظرات ايوب، لكنه لا يعلم .. ماذا على ان افعل

خرج الرجال من الغرفة وجلسوا في الساحة

بالقرب من خيمة الشيخ العتيق الذي علم بالأمر

ترك أبو اسلم أيوب وأحمد وذهب إلى مكان تحضير الطعام

ايوب نظر حوله ثم نظر إلى أحمد : ان وطنك يبلغك السلام

اندهش أحمد مجددا وقال : أتحدثني انا

ايوب نعم : انت انا اعرفك جيدا لكنك لا تعرفني

جئت إلى هنا لكي أطمئن عليك وأخبرك بأن وطنك يبلغك السلام

وأن النصر آت لا محالة

أحمد : من تكون؟

ايوب : لا يهم ... الأهم الان انك حي ترزق

إخوانك في مصـــر كانوا خائفين ان تكون قد قتلت، لكن نحمد الله على ذلك

أحمد : اهذا تكليف من وطني لك؟

ايوب : نعم انا سوري اخدم في الجيش، وهذه أول مهمة إلى

لكوني ابن احد رجال داعش

يحق لي التحرك دون ان يمنعني أحد

كان في قلبه كلام كثير، لكن مجيء ابي اسلم قطع حديثهم، وضع الطعام

لكن الضيف أبا وأعلن عن الرحيل

جاءت السيارة وضع فيها الوقود

وخرج الرجال معه حتى يرشدوا على الطريق الصحيح

احدهم نظر اليه وضحك ساخرا وقال : هذا طريقك ليس من الممكن ان تضيع الطريق في وطنك

ابتسم ايوب وقال : حقا إنه وطني، وهذا اقل شيء أقدمه له

أخرج سلاحه وأطلق النار عليهم، واخذ سلاحهم وفروا هاربين

***

اطمئن قلب الوطن ....بأن أحمد مازال حيا يرزق

ولديه النية في العودة إلى وطنه

كان على الوطن ... ان يخبره بأنه تحت عينه، وانه لن يتركه في عش الدبابير وحده

أول الخيط كانت العملية الأخيرة التي شارك فيها أحمد

هي أول الطريق للعثور عليه

تحليل عينة الدم التي سقطت من أحمد هي من أثبتت شخصيته

وبالتعاون مع المخابرات السورية

افادت بأنه معسكر يبعد عن العاصمة، بحوالى ساعتين تقريبا

تطوع احد الضباط للذهاب إلى سوريا

لكن القيادات رفضت ذلك، فأهل مكة أدرى بشعابها

فلو وقع احد الضباط في يد داعش ستكون ضربة قاضية في صفوف الجيش العربي الأول

لكن المخابرات السورية كانت في العون، أرسلت أحد رجالها ... وقام بتنفيذ العملية

وجاء وقت التفكير في كيفية إخراجه من المعسكر

بعد ان دخل ايوب في صفوفهم وقتل اربعة منهم، شعر أبو اسلم لكونه قائد القوات، إن صفوفه تخترق

فأمر بوضع بطاريات صواريخ مضادة للطائرات

حول المعسكر ... خوفا من قصف جوي قريب

كما أمر بوضع رجال القناصة على أسطح المنازل، التي تقع بجوار المعسكر لحماية الموقع من المداهمات العسكرية

في اغلب الأوقات ... كان الرجال يعتقدون أن أبا اسلم

له الكلمه العليا بعد الخليفة

لأنه كان أقرب اليهم من النائب الفعلي، حيث كان يقف بجانبهم

ويشاركهم موائد الطعام لكن كل هذا يعود إلى تاريخه عندما كان يخدم في الجيش وعلى الرغم من ذلك، فهو لم يكتشف أمر ايوب .

وقال في نفسه «لقد تطور فكر الجيش السوري حقا»

ثم اعلن حالة الاستنفار الأمني داخل المعسكر

جمعوا النساء جميعهن في السجن

حتى هنادي لم يستطع أحمد ان يجعلها تظل جانبه

لكنه وعدها، بأنه سيكون بجانبها ... متى كانت في حاجة إليه

بعد لحظات قليلة، سمع صوت الحرس يقول

«اجمعوا في ساحة المعسكر»

على جميع الرجال ان يجمعوا في ساحة المعسكر

٢٠ الف مقاتل الا بضة رجال

يصطفون في صفوف متساوية وراء بعضهم البعض

حاملين أسلحتهم تحت اشعة الشمس

منتظرين خروج القائد المعظم

وقف الشيخ العتيق وبجواره ابي اسلم واحمد، وبضة رجال من القادة المقربين كان يطلق عليهم مجلس إدارة الدولة

جلس الشيخ العتيق على مقعده ممسكا بعصاه، وبدأ حديثه

من اليوم ...ولحين إشعار آخر ... سنعلن حالة الاستنفار الأمني

علي الجميع ارتداء البدل العسكرية، ولا تتركوا السلاح من أيديكم

إلا اذا رزقكم الله الشهادة، فوالله إني أرى الجنة قريبة منكم

سوف يتم تقسيم الجيش إلى ثلاث فرق

الميمنة : بقيادة الشيخ ابي المكارم

الميسرة : بقيادة الشيخ ابي خديجة

القلب : بقيادة الشيخ الوايلي

جميعكم تحت الفارس العظيم القائد أبا اسلم، تأخذون اوامركم منه

فنحن على باب حرب عظيمة، سيكتب التاريخ فيها أسماءنا بالذهب

فلنقطع دابر الكافرين بإذن الله

قام احد الرجال وكبر، فكبروا جميعا من خلفه « الله أكبر «

تمت عملية غسل المخ بنجاح، وسيطر الشيخ على عقولهم

وقال : الآن كل في موقعه، حتى آتيكم بنبأ آخر

اشار الشيخ العتيق إلى الشيخ أبي اسلم

بالتوجه نحو اجتماع طارئ ومعه وقادة الفرق

***

في غرفه لم يرها أحمد من قبل، بها طاولة في المنتصف

وبالطاولة مقعد مميز لنائب الخليفة، عليها خارطه سوريا بأكملها

الآن علم أحمد من اين كان يأتي الشيخ العتيق بكل هذه الخرائط من قبل أثنا عشر من القادة ومعهم ثلاثة رجال، أصبحوا منذ بضع دقائق قادة الجيش

تحت قيادة ابي اسلم

بدأ الشيخ العتيق في وضع العصا على كل منطقة قاموا بالاستيلاء عليها

وقال : لقد أصبح لنا نصف سوريا تقريبا

من اليوم ســـنكون نحن فرقة الدعم التي تقوم بدعم المقاتلين في كل سوريا

لقد وصل عددنا ســـبعين ألف مقاتل، واحلم باليوم الذي نصبح فيه مائة ألف مقاتل

دعوني أسرد لكم المعلومات الكاملة عن كل ولاية نسيطر عليها

بدأ الشـــيخ العتيق في ســـرد عدد الجيش المتمركز في كل ولاية من ولايات داعش في سوريا

كان لحلب ودير الزور النصيب الأكبر منها، واكمل حديثه قائلا

لن اسمح بخسائر من هذه الساعة

لن اسمح بان نفقد ما احرزناه من أهداف

دعونا نكمل طريقنا

ما عدد الجيش في المعسكر يا أبا اسلم؟

أبو اسلم : ٢٠ ألف مقاتل يا سيدي

فجاوب أحمد مبتسما : ٢٢,٧٦٥الف جندي يا سيدي

بخلاف القادة

ابتسم أبو على وقال : هكذا يكون الجواب

بينما غضب أبو اسلم ونظر إلى أحمد نظرة من الحقد تعبر عن الكثير مما بداخله

الشيخ العتيق : كيف حال اخواننا يا أبا عمار؟

أبا عمار هو مسئول التموين والإمدادات

أبو عمار : جميعهم بخير يا سيدي والطعام وصل اليهم أمس

الشيخ العتيق : كم يكفي ذلك الطعام من ايام؟

أبو عمير : عشرة أيام

الشيخ العتيق : خبرنا يا أبا اسلم عن انواع الاسلحة التي تستخدم في حروبنا

والأسلحة التي لم تستخدم بعد؟

أبا اسلم : لقد استخدمنا جميع الأسلحة التي وقعت في ايدينا

معظمها صناعة روسية، قليل منها صناعة محلية

ويوجد ايضا اسلحة امريكية لم أر مثلها من قبل

بخلاف الاسلحة التي جاءت الينا كهدية من دول صديقة

عدا مخزن حلب مازال لم يستخدم حتى الآن

الشيخ العتيق : لماذا؟

أبو اسلم : يحتاج إلى رجال يا سيدي

فجميعها اسلحة قنص متطورة غير التي في حوزتنا

الشيخ العتيق : وكيف حال القناصة هل أتممت تدريبهم؟

أبو اسلم : نعم جميعهم على أتم الاستعداد حتى الآن لدينا ٢٠ قناصا

وسوف ينضم الينا رجال قد قمنا بتدريبهم في احد البلاد الصديقة

الشيخ العتيق : نعم علمت بأنهم سيصلون الينا غدا

بمشيئة الله تعالى

٥٠ رجلا من خير الاجناد لا يتحدثون قط

قائدهم يدعى المتولي

رجل لا يتحدث عيونه مثل القطط يحرك الجميع بعيونه

شارك في العملية الاخيرة التي نفذت في مصر

قالوا إنه قام بتحويل القناصة إلى رشـــاش حتى لا يأخذ وقت في قتل الأعداء

ولكن لم اسأل الشيخ الاحمدي عن اموالنا

أهي كثيرة؟

ضحك أحمد وقال : نعم يا سيدي كثيرة

الشيخ العتيق : كم تبلغ تقريبا

أحمد : مليارات يا سيدي

ضحك الشـــيخ العتيق وقال اعلم ذلك ولكن هل يوجد اي التزمات علينا

أحمد: لا ســـيدي لقد تم دفع مرتبات اخواننا ومشـــتريات المعســـكر والهدية التي ترســـل إلى الخليفة

الشيخ العتيق : إذًا سنصبح أغنياء فيما بعد

نظر اليه أحمد وقال في نفسه : اذا استطعت ان تخرج من هذه الحرب على رجلك

نظر الشيخ العتيق اليهم وقال : الان كل شخص يذهب إلى موقعه

دعونا نأخذ قسطا من الراحة

بدأ الرجال في الخروج من الغرفة، الشيخ العتيق : يا احمدي

وقف أحمد ونظر إلى الشيخ العتيق الذي اشار اليه بأن يعود إلى كرسيه وقف أبو اسلم وبدا في العودة لكن الشيخ اشار اليه بالخروج

الشيخ نهض من مقعده وسار خلف أحمد الذي كان يجلس في مكانه

وقال : في بادئ الامر كنت افكر في ان اقتلك

ليس لان الرجال اتوا بك إلى هنا عن طريق الخطأ

لكن لانني علمت بأنك مصري

كنت اتمني بأن مصر تكون أرسلتك إلى هنا

لكن جائتني معلومات بعكس ذلك

لا تندهش فقد كنت قريب جدا من ولي الامر في دولتكم

اعلم ما الامر الذي اتي بك إلى هنا، لكنني كنت في امس الحاجه اليك والان جاء الوقت لكي اخبرك بأن وطنك لا يستطيع الوصول اليك لكي تعود إلى الوطن

فهم مشغولون الان بحروبهم ضد إخواننا في سيناء

كان يجب ان نخرج مصر عن إدارة المعركة فلو كانت مصر آمنة مطمئنة لرأيت الجنود المصريين هنا يحاربوننا

فأرسلنا مجموعة من الاخوة اطلقنا عليهم ولاية سيناء تحارب الجيش المصري

وتجعله لا يفكر سوى في الخلاص منها فتبتعد عن معركتنا الأساسية

انت الان يا احمدي اصبحت واحدا منا، اريدك ان تعلم ذلك

لا تفكر في العودة مره أخرى إلى وطنك، او خيانة العهد الذي بيننا

حتي لا اضطر إلى قتلك، افهمت

أومأ أحمد برأسه

فقال الشـــيخ العتيق : والان اذهب إلى سجن النساء أخرج محبوبتك ودعها تنام بين احضانك

وهذا بمثابة جميل سيكون عليك رده في يوم ما

خرج أحمد من خيمة الشيخ العتيق مندهشا لما حدث

فإنه يعلم كل شيء عنه ومع ذلك لم يقتله

أتكون تلك مكيدة

***

ذهب الشيخ الاحمدي في ثوبه الداعشي

وامر السجان بفتح الباب

دخل إلى الســـجن فوجـــد هنادي نائمة وتضع راســـها على قدم احد النساء

أحمد : هنادي ... هنادي

استيقظت هنادي بعدما دب الخوف في أعماقها

وقالت : ما الذي اتي بك إلى هنا؟

أحمد : تعالى معي سوف نذهب إلى الخيمة

ذهب أحمد باصطحاب هنادي إلى خيمته

نظر إلى خيمة الشيخ العتيق فوجده ينظر اليه في ابتسامة كبيرة

دخل إلى الخيمة، فوجد ملابس جديده له ولها، وورقة مكتوب عليها

«لا تنس .. هذا جميل سوف ترده في يوم من الايام»

وقفت هنادي مندهشة لما يحدث

ماذا فعل أحمد .. لكي يخرجني من هذا السجن الملعون

ابتسم أحمد وكأنه يسمعها : وقال في حدة اذهبي إلى الاستحمام وارتدي تلك الملابس

نظرت إليه هنادي باندهاش اكثر لم يتحدث اليها أحمد بهذه اللهجة من قبل

ذهبت وكان في راسها ملايين الأسئلة، دخلت إلى المكان المخصص للاستحمام

كان الماء يسير على جسدها كأنها احدى الحور العين

كان الماء باردا ... لكنه كان جميلا

ارتدت ملابس تشبه الملكات

ظنت انها في الجنة، لكن عادت مرة أخرى من أحلامها

عندما خرجت ووجدت أحمد جالسا على الارض

كان يقوم بصنع بطاقات هوية له ولها

هو ضابط في الجيش السوري وهي إحدى الممرضات العسكريات

انسب اليه اسم «يوسف»، واليها اسم «ساره»

ولم يتبق سوي ان يضع الصور لكي تتم عملية صنع بطاقات الهوية

لقـــد وقع في مأزق آخر، يحتاج إلى الكاميرا الفورية التي كانت بحوزة المصور

لكن كيف وكل العيون تراقبه

كأنها كانت تسمعه وهو يفكر في داخله

وضعت يدها على كتفه وهمست في اذنه في حنان وقالت

دعها إلى الله يا أحمد

نظر اليه في اندهاش شـــديد، فملابســـها الجديـــده كأنها صنعت خصيصا لها

قال : لو لم اكن اعرف من انت لقلت انك حواء وهبطت من السماء الآن

فنظرت اليه وقالت : أأنت تغازلني؟

ابتسم أحمد وقال : نعم ايوجد لدي الأميرة اي مانع

ابتسمت هي الأخرى وقالت : لا تغازلني الا عندما نتزوج

فقال أحمد : لكنك اسيرة الآن

حزنت هنادي وقالت لم أشعر بالاسر يوما يكفي انني في وطني

ابتسم أحمد ووضع يده على يديها وقال : ما اجمل وطنك ياهنادي

انه محظوظ حقا بوجود مثلك فيه

لم يكمل حديثه حتى سمع صوت المؤذن يقول: الله أكبر

اندهش أحمد وقال : هذا ليس موعد صلاة انتظري سأعود اليك

خرج أحمد من خيمته فوجد الرجال مجتمعين في ساحة المعسكر

لقد مات أبو علاء العفري : نائب الخليفة أبو بكر البغدادي

في غارة جوية للتحالف اثناء صلاه العشـــاء في احد المســـاجد بدولة العراق يالها من ضربة ثانية في جســـد ابي بكر البغدادي، ضربة ساحقة ادت إلى قطع احد اذرعه ضربه اصابته في مقتل، يالها من مصيبة كبرى

وقف الشيخ العتيق ممسكا بسلاحه، وجلس أبو اسلم يبكي على الارض

لقد كان موت ابي علاء سببا في تحطم قلوبهم

لم ينم المعسكر طيلة هذا اليوم، ظلوا جالسين في باحة المعسكر

ينظرون إلى بعضهم البعض، حتى جاء الصباح

امر الشيخ العتيق أبا اسلم بإبطال بطاريات الصواريخ

حتى يسمح بالطائرة القادمة الوقوف في سماء المعكسر

وقفت الطائرة هبط منها ٥٠ جنديا

وقائدهم خلفهم

يرتدون ملابس الجيش ... حاملين أسلحتهم

ثم هبط وراءهم ثلاث حقائب الاولي كانت لسلاح متطور

الثانية لبعض المتفجرات، الأخيرة بها أموال

وعادت الطائرة إلى طريقها

دخلوا الرجال في غرفة الاجتماعـــات الجدية، وضعوا الحقائب على خريطة سوريا في رسالة منهم على انهم قادمون للفتك بها، رحب الشيخ العتيق بالقائد الجديد

لكنـــه لم يرد التحية او الترحيب، نظر إلى احد رجال الذين كانوا في الصفوف الخلفية وبدا يتحدث

«قائـــدي يبلغك الســـلام .. ويقول لك في الحقيبـــة الأولى بعض الاســـلحة الحديثه التي قامت دولتنا بشـــرائها من امريكا وفي الحقيبة الثانية بعـــض المتفجرات التي تســـتطيع التفجير عن بعد.

الحقيبة الثالثه بعض الاموال مقابل بعض النفط لدولتنا ابتسم أبو على الشيخ العتيق وكانه نسي موت ابي علاء

وقال : هكذا يكون العمل

يا أبا اســـلم : اصطحب الرجال إلى خيمتهـــم ولا تدع احد يزعجهم حتى الظهيرة

أومأ أبو اسلم برأسه ونفذ الأمر

الشيخ العتيق : يا احمدي خذ حقيبة الاموال إلى الخزينة وأتم عملك

اومأ أحمد برأسه وانصرف

الشيخ العتيق : توضا وصلي ركعتين

وقال : مات رجل فأمدنا الله بخمســـين رجل ياله من جميل نحمد الله عليه

***

في خيمة العمل بدأ في فتح جهاز الحاسوب

وبدأ في عد الاموال

واثباتها على الحاسوب ووضعها في الخزينة، وجاء له الحل

من الممكن ان يأخذ اي كاميرا، ويقوم بتصويره هو وهنادي

ثم طبعها على الحاسوب

وبذلك تكون الصور جاهزة، الآن جاء الحل

***

ام المعارك

«اشتدت المعارك في حلب الباسلة وسكتت عنها كل البلاد المجاورة

يا من تركتم اوطاني وهربتم اوطاني مازالت وستزال باقيه»

بدأ الجيش السوري في الصحو من غفلته

وبدأ في التحرك على ارض الواقع

لابد ان يكون الرد حاسم لقد حمي الوطيس في ام المعارك

وزاد الارهابيون من قتالهم

فما كان الا ان الجيش السوري ينتقم من احد قادتها

حتى يشعروا ببعض الخسائر

اكرم قرباشي كبير قضاه داعش، القاطن في ريف حلب

ثاني اســـم في قائمة المطلوبين بعد ابـــي علاء العفري تم العثور على موقعه

وفي جوف الليل وبينما هو منهمك في شرب الخمر ومضاجعة النساء

اقتحمت القوات الخاصة السورية المنزل وقتلته فما كان للشيخ العتيق سوى أن يرى بنفسه قدرة القط في المعركة

فأرسل بجنوده الخمسين لكي يصدوا القوات الخاصة التي توغلت في ريف حلب لكنه ارتكب خطأ فادحا

لا يجب ان تضع الطعام بأكمله في صحن واحد بجانب السباع

فيأكلون بأكمله

قام الجيش السوري بقصف السيارات التي كانت تحمل القوات الخاصة بقيادة القط وقتلتهم جميعالقد كانوا من أبرز مقاتلي داعش، الذين التحقوا بالجيش في الآونة الأخيرة .

كان السيناريو مكتوبا باحترافية شديدة

بدأ الجيش السوري اتخاذ اسلوب الكر والفر معه حتى يستفزه

وبينما هو يلحق بهم وفي منطقه بعينها

كانت الاحداثيات مكتوبة على المدافع

التي قصفت المكان بأكمله فتحولوا إلى بقايا اجساد

الآن حصحص الحق

الان بدأ الجيش في ارسال موجات هزائم في صفوف الإرهابين

خرج المذيع على التلفاز المصري في بدلته الأنيقة، وبدأ حديثه قائلا

«اعزائي المشاهدين .. من القاهرة ... هنا دمشق

لقد قامت القوات المسلحة السورية في فجر هذا اليوم بقتل اكرم قرباش

كبير القضاة في داعش

كما قتلوا ما لا يقل عن ٥٠ عنصرا من عناصر داعش والقبض على عدد آخرين»

وإليكم البيان التالي

بدأت الكاميرا في عرض الأسرى من داعش وهم جالسون على أرجلهم

وأيديهم على رؤوسهم

ثم قام احد القادة بتنفيذ حكم الإعدام عليهم

وقال : هذا قصاص اخواننا هذا جزء من رد الحق

شجبت ونددت الأمم المتحده لهذا الفعل على سبيل إنه فعل غير إنساني غير قادرين عن التنديد بأفعال داعش

لقد اختلفت نواياهم يا ولدي فأصبحوا شركاء في الجريمة

***

وبينما داعش تعالج جروح رجالها ... وتغسيل عيونهم من البكاء

كان الشيخ العتيق في سهرة حمراء نائما بين كاسات الخمر

يتحسس جسد المرأة التي أخرجها من السجن منذ بضع ساعات

لم يستطع ان يبتعد عن المضاجعة

وعلى الرغم من كبر سنه الا ان حالته كأنه ابن العشرين

امر الحراس بمنع احد للدخول عليه حتى لو كان قائد الجيش

وبينما هو يعزف انين المرأة التي معه سمع صوت مشاجرة في الخارج

كان صوت ابي اسلم يقول للحارس : ابتعد عني انا آمرك بأن تبتعد

لم يبال الشيخ العتيق واستمر فيما يفعله ونام حتى الصباح

خرج من خيمته فوجـــد الرجال مجتمعين وتعم الفوضى على انحاء المعسكر

الشيخ العتيق : ماذا بكم؟

ابتسم أبو اسلم له ابتسامة استهزاء

لقد نشبت معارك ضخمه في دير الزور، وأبو سياف طلب منا العون

فأرسلت له فريق الميمنة، الشيخ العتيق : منذ متى؟

أبو اسلم : منذ الفجر

الشيخ العتيق : وهل اطمأنيت على إخواننا؟

أبو اسلم : نعم

الشيخ العتيق : حســـنا قم بإدارة غرفة العمليات، سأذهب لكي أصلي ركعتين

ابتسم أحمد وهمس في اذن ابي اسلم : لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى

ضحك ابوة اسلم وقال : اصمت لم يحن وقت موتنا بعد

اندهش أحمد من رد ابي اسلم وظن انه عاد إلى رشده

اشتدت المعارك ساعة بعد الأخرى

وتوغل الجيش السوري حتى وصل إلى منزل ابي سياف

قائد داعش في محافظة دير الزور

وبينما هو يرفع الراية البيضاء

دكت الدبابات المنزل

فحولته إلى مقبرة جماعية دفن فيها احشاء ابوسياف ورجاله

بينما كان أبو اسلم يدير غرفة العمليات

جاءت اليه المعلومات فسقط مغشيا عليه من اثر الهزيمة

***

افاق أبو اسلم فوجد نفسه مكبل اليدين

على كرسي ... في صحراء جرداء وحوله جميع رجال داعش

رجل حوله ٧٠ الف مقاتل ووقف الشيخ العتيق أمامه

وقال : بصفتك قائد الجيش تكون مسئولا عن كل الهزائم التي حلت بنا

وامرنا نحن بإعدامك، ثم اشار إلى احدهم الذي اعطاه سلاحا

ثم قام الشيخ العتيق بوضع السلاح في راس ابي اسلم وقتله

لم يشعر سوى بيد تسير على رأسه يد ترتعش لا يعلم هل هي خائفة منه او خائفة عليه

افاق فوجد نفسه في خيمة أحمد

وتجلس بجانبه هنادي تزيل عنه حرارة جسده

لم ينطق سوى بكلمة واحدة : ماذا حدث؟

بدأ أحمد في سرد كل ما حدث له

وعن الهزائم التي حلت بالجيش

لقد قتل أبو سياف

لم يستطع أبو اسلم ان يخفي غضبه وبكاءه

فقال : والله ان أبا سياف كان ونعم الصديق، سنموت على ما مات عليه

أحمد : لكنك مريض الآن

أبو اسلم : دعني وشأني يا احمدي

خرج أبا اسلم من الخيمة وأجمع الرجال

خرج الشيخ العتيق من خيمته على صوت ابي اسلم وهو يقول:

اعدوا انفسكم اليوم، سنهز الارض من تحت اقدامنا، سنعطي لهم درسا لن ولم ينسوه طيلة حياتهم اعطوني التمام الآن

وقفوا الرجال في صفوف متساوية وكل شخص فيهم اعطى التمام

أبا اسلم : املوا بطونكم بالماء والطعام

فربما لا نأكل ولا نشرب بعد اليوم

بدلوا احذيتكم الثقيلة وارتدوا أحذية خفيفة

احملوا ما تستطيعون من أسلحة سندخل بلادهم في الفجر

وبينما يضيء القمر طريقكم والايمان يضيء قلوبكم، سنسلب منهم وطنهم

الشيخ العتيق : ماذا يحدث يا أبا اسلم ؟

أبا اسلم : سنأخذ تار اخواننا يا سيدي

الشيخ على بركة الله اترك لي بعض الرجال للحراسة

أبا اسلم :علم يا سيدي

ربط الشيخ على أكتافه كأنه يدفع به إلى الإمام ويحفزه

***

اخر فجر سوف يصلي في المعسكر

وآخر يوم له هنا

سمح له الشيخ العتيق بان يأم المصلين

بدأ بالفاتحة

ثم قال « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»

ثم في الركعة الثانية

بدأ بالفاتحة وقراءة ما تيسر من سورة الكافرون

طول في السجود انتهى من الصلاة

أشهر سلاحه

وقال : بصفتي قائد الجيش اعلن لكم اننا سوف نعلي كلمة الحق

اليوم نحارب الكفار في عقر دارهم

بدأ الرجال في التكبير

وبدأ الشيخ العتيق في إشهار سلاحه، كان حديث ابي اسلم حماسيا

فقال الشيخ العتيق : ستكون وجهتكم حلب إن شاء الله

استعد الرجال وحملوا أسلحتهم

واستقلوا الدبابات والسيارات ذاهبين إلى الحرب

انتظر أبو اسلم جميع الرجال لكي يتمم عليهم، صافح الجميع وجاء دور أحمد

ابتسم وقال له : كنت أريد أن تكون معي في تلك الحرب

لكن الحرب يا بني تختار رجالها، أنت مكاني الآن

دعني أعلمك آخر درس، إذا أردت أن تحقق أحلامك، وتنجد نفسك من الهلاك

لا تجعل الحب يترك قلبك ... فالحقد يا بني من شيم الكفار

اشرف على الحراس كما علمتك، ادفع الرواتب لهم حتى لا ينفروا منك تواضع يا ولدي حتى لا يحقد عليك أحد، ثم استقل السيارة وذهب ٢٠ ألف مقاتل يسيرون مع بعضهم البعض، ذاهبين في حرب غير معلومة ٢٠ ألف جندي، ذاهبين بلا عودة

حاشدين على أم المعارك.....

٥ يوليو ٢٠١٥

الساعة السابعة مساء

اشرف على الحراس، وذهب إلى خيمة عمله، وضع الأموال في الحقيبة ونقلها إلى خيمته

لم تبق سوى أن يبحث عن كاميرا للتصوير، دخل غرفة المصورين فلم يجد فيها أي شيء

خاب أمله، عاد اليها ... فوجدها مازالت جالسة

أحمد : لما لم ترتد ملابسك ؟

هنادي : اني خائفة يا أحمد

أحمد : يجب أن نرحل قبل فوات الآوان

لو عاد أبو اسلم ومن معه في أي وقت فلن نخرج من هنا حتى يتوفانا الله ارتدي ملابسك سوف أذهب إلى خيمة الشيخ لكي أطمئن أنه نائم

ذهب أحمد إلى خيمة الشيخ، أمر الحراس الذين يحرسونه بأن يذهبوا إلى النوم

فالهواء شديد اليوم

ألقى عليه نظرة فوجده نائما، اطمأن قلبه وعاد إلى الخيمة

خلع ملابسه الداعشية وأيامه الصعبة وارتدى ملابس الفخر ملابس الجيش وبدأ في الخروج إلى طريق سيارة ابي على الشيخ العتيق

أحمد غاضبا : يالله نسيت المفتاح

سمع صوت الشيخ العتيق ينادي على الحراس

هنادي: يالله لقد انكشف أمرنا

أحمد : اجلســـي هنا ولا تصدري أي صوت، إذا لم أعد خلال ٨٠ ثانية فكّي ذلك وأشار إلى مكان المفتاح

وأوصلي الســـلوك ستدير معك السيارة واهربي، عادأحمد إلى الشيخ العتيق

الشيخ من انت وماذا تفعل هنا يا حراس؟

دفعه أحمد إلى داخل الخيمة، فسقط على الأرض

بدأ في الصياح فلم يجد أحمد سوى السيف لكي يقتله به

أحمد : هذا جزء من جزائك أيها المجرم، بدأ أحمد في التفتيش على مفاتيح السيارة

وعندما وجدها نظر إلى صندوق لم يره من قبل

فتح الصندوق ليجد متعلقاته، أوراقه وهاتفه المحمول

لم يتبق سوى بضع دقائق

هرول أحمد في اتجاه خيمة العمل

أخرج كرت الذاكرة من الهاتف ووضعه على الحاســـب، طبع صوره له ولهنادي

هيا ... هيا

خرجت الصور ... وضعها على بطاقات الهوية

هرول في اتجاه السيارة

وجد الشـــيخ العتيق يزحف في اتجاه الخارج على بطنه وينادي على الحراس

وصل إلى السيارة وقام بالخروج

وصل أحمد إلى البوابة ... وجد الحارسان

الحارس : إلى أين يا أمير ؟

أحمد : سأذهب إلى تلك الخمية التي هناك نظر الحارس إلى الصحراء فلم يجد أية خيمة

وعندما نظر إلى أحمد أطلق عليه الرصاص وهرب

تجمـــع الحراس وذهبوا إلى خيمة الشـــيخ العتيق، حتى صاح أحدهم وقال:

لقد مات نائب الخليفة، لقد مات أبو على

***

هربت ولم أعلم إلى أين سوف أذهب

أتحسس الطريق من خلال خريطة قد طبعت في ذهني

من قبل ... عندما رأيتها في غرفة الشـــيخ الملعون، وبعض المعلومات التي تفيدني بها هنادي

القمر يأتي ويرحل

ولا أســـتطيع أن أنير إضاءة الســـيارة، حتى لا أكون عرضة للقصف الجوي أوقفت الســـيارة بعيدا عن المعسكر الذي بدأ يختفي

مع ابتعاد الطريق، وجلست أفكر

هل أذهب إلى لبنان، وأسلم نفسي إلى الحدود، أوأذهب إلى دمشق

وأسلم نفسي إلى الجيش السوري

جميع أسئلة الكون حلت بخاطري

ملابســـنا العسكرية سوف تزيد من ســـوء المعاملة معنا، إذا وقعنا في قبضة أحد الجيوش

وماذا لو وقعنا في قبضه داعش، حتما سوف يقتلوننا

يجب ان نؤمن انفسنا قبل حلول النهار، إذا رأتنا الطائرات حتما سيتم الفتك بنا

هنادي النائمة... لم تبال لما يحدث لهم، لطالما هي داخل قلعة أحمد، فهي تشعر دائما بالأمان

استيقظت فوجدته جالسا يفكر

هنادي : ماذا بك؟

أحمد : لا أعلم أفكر في وجهتنا

هنادي : نذهب إلى دمشق

ونسلم أنفسنا إلى الجيش السوري

أحمد : وماذا ســـنحكي لهم، ســـنقول نحن تائهان أم هاربان من عش الدبابير

هنـــادي : لا تقلق معظم ضباط الجيـــش، يعلمون من أنا منذ كنت أخدم في المستشفى

أحمد : لا لن أذهب اليهم لن اسمح بأن أفقدك مرة أخرى

هنادي : توكل علـــى الله ياأحمد، فالوقت يمر الم تقل لي إن الله لن يضيعنا

ثق في الله

أدرت محرك السيارة فحديث هنادي اقنعني بعض الشيء

وحديث ايوب جاء في خاطري، أن وطني يبلغني السلام

حتما .. سأعود إلى وطني، أتمنى من الله أن أجد أيوب في دمشق

قصفت الدبابات المعسكر، ونزل أيوب ورجاله يتقدمون نحو الداخل

وجدوا الشـــيخ العتيق مقتولا، قتلوا بعض الرجال، وتم أسر البعض الآخر حرروا النساء من قبضة داعش

أيوب : أين هم أين الشيخ الأحمدي؟

أحدهم : لقد هرب وقتل اثنين منا

أيوب : أي من الأبواب الذي خرج منه؟

أشار الرجل إلى باب في طريق دمشق

ايوب: حتما ذاهب إلى دمشق، ثم أشار إلى أحد الضباط

سأذهب بسيارة سريعة لعلِّي ألحق بهم

وأنت خذ الرجال والنساء، وعد بهم إلى القيادة

كان يجب أن نسرع أكثر من ذلك

يجب أن أصل إلى أحمد قبل أن يصل إلى دمشـــق فلو رآه الرجال سوف يقتلونه

هـــرول أيوب إلى الســـيارة وذهب في اتجاه خط ســـيرأحمد، بدأأحمد طريقه من المعســـكر الذي كان قريب من الحـــدود مع الأردن

لكنه لم يكن يعلم ذلك

هنادي هي من أخبرته عندما رأت مدينة صيدا

فقالت : من الواضح أن المعسكر كان قريبا من الاردن يا أحمد

كان من المفترض أن نذهب إلى هناك، رفض أحمد تلك الفكرة

فالاردن مازالت لم تنس دم معاذ الكساسبة، إذا رأوا سيارة داعشية

سيقصفونها دون أن يعلموا من بداخلها

كانت المدن جميعها حزينة على ما يحدث، المدن جميعها تحولت إلى أشباه مدن

بداية من طيبة وحتي دير على

كان الفجر بدأ في الدخول، عندما مرأحمد على مدينة دير على

بينما كان أيوب في مدينة الشرائع، يفصل بينه وبين أحمد محافظة واحدة

سمع صوت أذان الفجر فأوقف السيارة وبدأ في ترديد الأذان

هنادي : فيما تفكر؟

أحمد : أفكر فيك وحدك

هنادي : أهذا وقت مناسب للحب

ضحـــك أحمد وقال : حتى إذا لم يكتب الله لـــي عمرا، ومت قبل ان اصل بك إلى بر الأمان

أريد منك أن تعلمي شـــيئا واحـــدا فقط، إنني أحبك وجئت إلى هنا من أجلك وحدك

هنادي : إذًا هيا بنا دعنا نسير في طريقنا

أدار محرك السيارة ونظر إليها في اندهاش

فهي لم تبال بحديثه، وبينما هويسير أصيب إطار السيارة

ابتسم أحمد وقال : لم أوقفتي حديثي، كان يجب أن تسمعي كلماتي إلى النهاية

ضحكت هنادي وقالت : وما العمل الآن يا ترى؟

أحمد: العمل أن أبدل إطار السيارة اجلسي مكانك ولا تتحركي

بدأ أحمد في عملية تغير الإطار، وبينما هو جالس على ركبتيه

سمع صوت سيارة تأتي نحوه

أخرج سلاحه وأخذ هنادي، وهبط إلى الصحراء

توقفت السيارة بجانب سيارتهم

هبط أيوب كان الصباح أعلن عن اقتحامه للدنيا

ظل أيوب بجانب السيارة حتى بدأ يرى أثر خطواتهم، ظل يسير نحو الخطوات حتى تلاشت

هجم عليه أحمد من الخلف . . . ولم يفصل بين طلقة الســـلاح وحياة أيوب سوى كلمته عندما قال له : أنا أيوب أنا أيوب توقف أحمد نظر إلى وجه : ماذا جاء بك إلى هنا؟

أيـــوب : جئت لكي أنقذك مما أنت ذاهـــب إليه هيا بنا يجب أن نرحل قبل أن يرانا أحد

أخـــذ أحمد هنادي وذهب مع أيوب، كانت ســـيارة ضخمة يوجد بها العديد من الأسلحة

نقل حقيبة الأموال إليها، نظرأحمد إلى الأسلحة ونظر إلى أيوب

وقال له : ما كل هذه الأسلحة أأنت ذاهب إلى الحرب وحدك؟

ضحك أيوب وقال : لا لكنني كنت في معسكر الشيخ أبي علي

أدار أيوب السيارة في عكس اتجاه دمشق

أحمد : إلى أين أنت ذاهب؟

أيوب : أتذهب إلى موت بنفســـك، نحمد الله أني لحقت بك هنا، اذا وصلت إلى، مدينة الســـيدة زينب، لكنت قتلت يا صديقي

أحمد : لماذا؟

أيوب : يوجد في مدينة السيدة زينب رجال من داعش

لو رأوا سيارة قائدهم لكانوا قصفوها

أحمد : كيف؟

أيوب : أعلن أبو اسلم انفصاله عن قيادة الشيخ العتيق، وأفتى بقتله

أحمد : إلى أين؟

أيوب : إلى وطني

أحمد : أأنت سوري

أيوب : انا عربي « أردني الجنسية « مسلم القلب يا عزيزي

بدأ أيوب في الاتجاه نحو الأردن لم يفصل بينهم سوى ساعة

وصلوا إلى مدينة صيدا مرة ثانية، نظروا إلى المعسكر عن بعد

كان متفحما لقد انهار عصر أبي على وبدأ عصر أبي أسلم

أشارت الساعة إلى العاشرة صباحا، عندما وصلوا إلى مدينة طيبة

وجدوا بضعة رجال من داعش، في الجهة الشمالية للطريق

أوقف أيوب السيارة وأشار إلى أحمد أن يقودها هو، أحمد : لماذا؟

أيوب: ربما سيكون هذا آخر لقاء بيننا

لا تقلق فالرجال في وطني ينتظرون عودتك

خذ تلك البطاقه وعندما تصل إلى الحدود، أعطيها إلى أقرب ضابط

أحمد : لن أسمح بأن ترمي نفسك في أحضان الموت بعد أن أنقذتني منه

أيوب : هذا عملي يا أحمد وهذا واجبي

أحمد : لكن

أيوب : لا داعي إلى العواطف يا أحمد

لقد تعلمنا في الجيش ألا تسير مشاعرنا سوى في اتجاه أوطاننا

والآن دعني أشتبك معهم، وعندما تسمع صوت إطلاق الرصاص اهرب

نظر أحمد إلى ايوب وعيونه تدمع، وقال له : دعنا نفر منهم

أيوب : أتريد مني أن أرى الشهادة في طريقي وأتركها وأرحل

يجب أن أشغلهم عنك، اذا راوا السيارة تمر من أمام أعينهم سيقصفوها

أحمد : يا أيوب

قاطع أيوب حديـــث أحمد وقال له، أنا ضابط جيش ... جندي، هذا قدري

عندما تذهب إلى الأردن، وتشم رائحة المسك النابع من نهرها، وتشم رائحة الخبز ... وتسمع صخب المقاهي، وترى الرجال والنساء والأطفال والشيوخ

قل لهم : إن ايوب يبلغكم السلام

ســـار ايوب وهو يحمل سلاحه، ونطق الشهادة عدة مرات كان مشهدا يحسد عليه

ترجل نحوالموت كأنه ذاهب إلى عرسه، وبدأ في الاشتباك مع الارهابين

سارأحمد بأقصي سرعة مبتعدا عن مدينة طيبة، وكل ما يشغل باله هو أيوب

رحمة الله عليك يا صديقي، وأدخلك الله فسيح جناته

وصل الحدود عند الساعة الثانية عشرة ظهرا، كانت القوات الحدودية تعلم السيارة

سار عبر البوابة، ووضع البطاقة الخاصة بأيوب

لأول ضابط كما أوصاه

وقال له : إن أيوب يبلغك السلام

***

«المعركة»

بعدما أعلن أبو اســـلم انشقاقه عن الشيخ العتيق، بدأ في تجميع قوة داعش تحت راية واحدة

وعلى أراضٍ متفرقة، أصبح يتصدر المشـــهد، فعينه أبو بكر البغدادي نائبا له على سبيل ان كلمته أصبحت مسموعة تحرك ما لا يقل عن ٧٠ ألف جندي بدأ في قيادة الضربات الموجهة إلى الجيش الســـوري في حلب وعلى الرغم من أن داعش كان لها ضربات قاســـية منذ أن جاءت إلى هنا إلا أن في هذه الأيام أصبحت منقســـمة فيما بينهم على أمور القيادة.

ولسبب هذا .. استغل الجيش السوري ذلك بمساعدة حلفائه

وتمكن من صد ودحر كتائب داعش بقيادة أبي اسلم

حيث قام الجيش السوري بقتل العديد منهم، وأسر البعض الآخر

وقاموا بمطاردة أبي أســـلم وفرقته حتى هـــرب إلى خارج المدينة، لكي يستعيد أنفاسه كل المؤشـــرات كانت تفيد بأن النائب الجديد

وقائد الجيش السابق سوف يحرز أهدافا لن يتخيلها أحد

لكن أرض الواقع عكســـت كل هذه المعطيات، وانقلبت الآية رأسا على عقب استطاع الجيش السوري استجماع قواه، وفي منتصف شهر ديسمبر عام ٢٠١٦

قام الجيش الســـوري بقصف عدة أماكن داخـــل حلب، حيث أصاب داعش في مقتل

وراح ضحية ذلك مئات من العناصر الإرهابية

إن حجم المعارك وأهميتها هو الذي أدى إلى تسمية حلب

بـــأم المعارك، وقد تميزت المعركة بالاســـتخدام العشـــوائي، من قبل المتصارعين

للأسلحة المختلفة ؛ مما أسفر عن مقتل الآلاف من الأشخاص

والاستهداف المتعمد للمدنين، بما في ذلك مستشفيات، ومدارس

من قبل كتائب داعش

مما أجبر مئات الآلاف على الإخلاء، خرج الرئيس بشـــار الأسد على الإعلام متحدثا

«انه سيقوم بتحرير حلب من قبضة الإرهابين «

ولم تنته السنة

حتى نامت حلب في أحضان سوريا، بل في أحضان الوطن العربي

لقد حررت حلب ... لقد انتصرت أم المعارك

***

ستغسل يا نهر الأردن ... وجهي بمياه قدسية

وستمحو يا نهر الأردن ....أثار القدم الهمجية

كلمات كتبها الأخوان رحباني

وهو اسم يقتصر للكاتبين عاصي رحباني ومنصور رحباني

من لبنان الشقيقة

وغنتها فيروز ... أروع أصوات الأرض

كلمات استقرت في قلب الكثير من أبناء الوطن العربي

حتى أصبحوا يحفظونها عن ظهر قلب

حتى هي ... عشـــقت فيروز بصوتها الحنون، والآن بعد بضع سنوات من الحـــرب، تجلس في مكتب يعود إلى المخابرات الأردنية، بصحبة أحمد

بعد التحقيقات والاتصالات التي قامت بين الأردن ومصر

طلبت مصر أن يعود ابنها إليها بصحبة زوجته

تعطلت الأمور في بادئ الأمر

لكن بعدما قام أحمد بسرد قصته منذ أن غادر مصر

حتى مقابلة معاذ الكساسبة وأيوب ضابط المخابرات

وبعد أن طلبت مصر مساعدة أشقائها العرب

على الفور جاءت الاخبار إلى قيادة الجيش المصري

وعلى الفور ذهبت طائرة حربية لجلب أحمد وهنادي من الأردن

احتفـــظ أحمد ببطاقة ايـــوب معه، فهي تعد ميراثا ســـوف يتركه لأبنائه فيما بعد

وصلت الطائرة المطار الأردني

وأخذأحمـــد هنادي وحقيبته الـــتي مازال محتفظا بهـــا، وصعد إلى الطائرة

وعندما دخل إلى الطائرة ورأى علم مصر

أعطى لهنادي قُبلة مليئة بالشوق والحنان وقال لها:اهلا وسهلا بك في مصر

اندهشت هنادي لما فعله أحمد وحديثه ولأول مرة يقبلها

ولأول مرة يتحدث بهذه اللهجة الممزوجة بالفرح والجنون في آن واحد

لقد ظهرت شخصية أحمد المرحة، وظهر وجهه المشرق مثل الشمس

كانت رحلـــة ممتعة عليـــه أن يجلس بمفرده لبضع ســـنوات حتى يستطيع استيعاب ما حدث حتما ستكون قصة مشوقة، سوف يرويها لكل أحبائـــه بدأت معالم مصر تظهر، وبـــدأ تنظر إلى مصر من النافذة عادت إليها ضحكتها وابتســـامتها وقالت في نفسها.

أحقا هذه مصر ... حتما ستكون أجمل مما رأيتها في التلفاز أو قرأت عنها في الكتب بـــدأت الطائرة في الهبوط في أرض مصر أم الدنيا فتحت الأبواب ... فوجد عائلته في انتظاره

منتظريـــن عودة البطل المغوار الذي ذهب إلى عرين الذئاب ورغم كل ما حدث أتى بمعشوقته حتما سيسطر أسماءهم بجانب مشاهير العشق، خرج من الطائرة

هرول إلى أبيه الذي عادت إليه صحته، وأمه التي لطالما بكت من أجله

وأخته وزوج أخته، لقد اشـــتاق إليهم كثيرا، عندما ركع لكي يقبل قـــدم والديه، لم يكن يعلم، هل ركع لكي يقبل أقدامهم، أم يقبل الأرض التي لطالما اشتاق إلى ترابها

كانت عيونهم مليئة بكم من الحيرة

لكن ظهور هنادي بجانبه هدَّأ من روعهم

أحمد : أقدم لكم هنادي، أمي .. أبي

أختي وهذا يكون زوج أختي، ابتسم جلال وقال : ألست أخاك؟

ضحك أحمد ووضع يده على كتف جلال وساروا بجانب بعضهم البعض مودعين المطار وقال: دعني أعلمك درسا في مدرستي أنا

إذا أردت أن تحقق أحلامك، كل ما عليك فعله، هو أن تنظر إلى السما، وتغمض عينيك، وتردد في داخل نفسك

«أنا هنا .... أنا موجود .... أنا إنسان جديد»

«ظنت الذئاب بأنها تفوقت بمكرها، ونسوا بأن الأسود تشم رائحة فريستها عبر مئات الأميال لذلك كن حذرا»

«تمت بحمد الله»

هنادي

«محمد فتحي أبونوير»